التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 156 السنة الثامنة عشر - نوفمبر 2020

كيف صنع البحرينيون وحدتهم 11

عشيّة الانتخابات الأمريكية 13

مسافة الأمان 16

موقفنا

التطبيع مرفوض شعبيا

في البحرين وفي غيرها من الدول العربية التي طبّعت علاقاتها مع دولة الاحتلال الصهيوني، وفي الدول التي ستسير على الطريق نفسه، هناك حقيقة ساطعة هي أن هذا التطبيع مرفوض شعبياً، ولن يحظى، في أي حال من الأحوال، بغطاء شعبي، ولا حتى بتفهم للمزاعم التي تساق لتبريره.

ولنا في ذلك تجربة ثابتة وواضحة في دلالاتها، هي تجربة التطبيع في مصر والأردن، فرغم مرور عقود على توقيع حكومتي البلدين على ما وصف بـ «اتفاقيات سلام»، فإن شعبيهما الشقيقين استمرا في رفض هذا التطبيع، ووقفت القوى الشعبية كافة سداً منيعاً بوجه أي اختراق صهيوني للمجتمع فيهما، كما كشفت التجربة نفسها زيف المزاعم التي يجري ترويجها عن الرفاه المنتظر من وراء التطبيع مع عدو غاصب وعنصري معبىء بالكراهية ليس فقط لكل ما هو فلسطيني، وإنما لكل ما هو عربي.

وقد كشفت ردود الفعل الشعبية في البحرين خلال الأسابيع القليلة التي مرّت منذ اعلان توقيع الاتفاق مع الكيان الصهيوني استياء كافة مكونات شعبنا من هذه الخطوة، وتأكيدها على أن الصهاينة غير مرحب بهم في بلادنا بكافة الصور، ونحن على يقين من أن شعبنا الذي تربى على حب فلسطين وشعبها، والتضامن مع قضيتها العادلة، ولم يتردد بعض أبنائه عن التضحية بأرواحهم في سبيل نصرتها، سيستمر على هذا الموقف على الدوام.

وتجلى موقف شعبنا في رفض التطبيع في الكثير مما نشرته وسائل التواصل الاجتماعي، وفي ما صدر من بيانات من الجمعيات السياسية ومؤسسات المجتمع المدني وهيئات وجمعيات مناهضة التطبيع والتضامن مع شعب فلسطين، وفي الندوات الافتراضية المختلفة التي شارك فيها نشطاء بحرينيون معبرين عن موقف شعبهم مما يجري.

وفي هذا السياق أتى البيان الذي أصدرته اللجنة التنسيقية للجمعيات السياسية، وأعلنت فيه رفضها للاتفاقيات المبرمة بين مملكة البحرين والكيان الصهيوني، التي جاءت بالتزامن مع إعلان الكيان الصهيوني عن إنشاء آلاف المستوطنات الجديدة في أراضي الضفة الغربية المحتلة، مؤكدة أن ذلك يكشف بكل وضوح نوايا الكيان في ضم كافة الأراضي المحتلة وتهويدها.

ودعا البيان شعب البحرين بكافة فئاته وشخصياته وجمعياته السياسية ومؤسسات المجتمع المدني إلى ترجمة المواقف المناهضة للتطبيع بمقاطعة أي سلع وخدمات شملتها الاتفاقيات الموقعة في الجوانب التجارية، أو السياحية، أو الصحية، أو الاستثمارية، أو غيرها، كما دعت إلى إطلاق حملة واسعة تضامناً مع الشعب الفلسطيني الشقيق، ولفضح واستنكار كافة الممارسات الإجرامية الصهيونية ضده.

التقدمي

اعتبر إنشاء جهة مستقلة للتعليم العالي خطوة في الاتجاه الصحيح

التقدمي: القضية الفلسطينية ثابتة في الوجدان الوطني والعربي

شجب المكتب السياسي للمنبر التقدمي الأصوات المسيئة لمن يعبر عن رأيه المناهض للتطبيع مع الكيان الصهيوني، وأكدّ على مكانة القضية الفلسطينية كونها قضية العرب الأولى حتى قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. لافتاً في الوقت ذاته بأنه يقف مع كل قوى المجتمع المدني في البحرين الرافضة للتطبيع، مستنكراً ما تعرضت له جمعية مقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني من مضايقات لإزالة لافتة إعلانية مناهضة للتطبيع. وشدد المكتب السياسي للتقدمي على أن الثابت في الوجدان الوطني أن العدو الصهيوني سيظل العدو الحقيقي والدائم للعرب.

جاء ذلك خلال اجتماع المكتب السياسي للمنبر التقدمي الذي عقد مساء يوم السبت الموافق 3 اكتوبر 2020 برئاسة الأمين العام، وتمّ فيه بحث آخر التطورات على الساحة المحلية والإقليمية والعالمية، وقيْم جهود العمل المشترك في إطار اللجنة التنسيقية للجمعيات السياسية فى الفترة الماضية، وأكد حرصه على تعزيز هذا العمل في الفترة المقبلة في الملفات والقضايا ذات الاهتمام المشترك.

على الصعيد المحلي، أكدّ المكتب السياسي للتقدمي بأن إنشاء جهة مستقلة تعنى بالتعليم العالي خطوة فى الاتجاه المطلوب، آملاً أن يتخلص هذا التعليم من الثغرات التي ترافقت مع مساره. كما تناول المكتب السياسي المرسوم بقانون رقم (13) لسنة 2020 بتعديل بعض أحكام القانون الخاص بالتعليم العالي، والذي تمّ بموجبه تشكيل مجلس أمناء ذي صفة اعتبارية مستقلة عن وزارة التربية والتعليم، واعتبره خطوة في الاتجاه الصحيح، منوها بالجهد المضنى والدؤوب من قبل عدد من النواب وفى طليعتهم أعضاء كتلة تقدّم من أجل تشكيل هذه الهيئة.

وعبر المكتب السياسي للتقدمي عن الأمل في أن يكون ذلك ملبياً للمطلب الشعبي بتخليص مسار التعليم العالي من الثغرات والشوائب التي اعترته، وأن يتعزز دور الدولة في تحمل كامل مسؤولياتها الإدارية والتنظيمية، وتوسيع قاعدة الدعم المادي للطلبة المتفوقين، مع وضع الضوابط والضمانات التي تحقق هذا الهدف وعدالة توزيع المنح والبعثات، والسياسات المتوافقة مع ربط مخرجات التعليم بسوق العمل.

دعت لإطلاق حملة للتعبير عن التضامن مع فلسطين

«تنسيقية السياسية»: التراجع عن الاتفاقيات الموقعة مع الصهاينة انسجاما والموقف الشعبي

أصدرت اللجنة التنسيقية للجمعيات السياسية بياناً على خلفية توقيع البيان المشترك بين مملكة البحرين والكيان الصهيوني، الذي اشتمل على عدة اتفاقيات تفاهم في مجالات مختلفة من ضمنها الإعلان عن إقامة علاقات دبلوماسية كاملة.

ودعت الجمعيات السياسية في بيانها الحكومة للتراجع عن هذه الاتفاقيات انسجاماً مع الموقف الوطني العام لشعب البحرين في الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني في استرجاع كامل حقوقه المغتصبة. وجددت هذه الجمعيات موقفها المبدئي المعلن في رفض كافة أشكال التطبيع مع الكيان الغاصب لفلسطين.

وأبدت الجمعيات الموقعة على البيان (التقدمي، القومي، الوحدوي، الوسط، الصف، المنبر الإسلامي، والتجمع الوطني الدستوري) استغرابها واستنكارها لهذه الاتفاقيات التي جاءت بالتزامن مع إعلان الكيان الصهيوني عن إنشاء آلاف المستوطنات الجديدة في أراضي الضفة الغربية المحتلة، مؤكدة أن ذلك يكشف بكل وضوح نوايا الكيان في ضم كافة الأراضي المحتلة وتهويدها، إضافة إلى جرائم الحصار والقتل والتشريد اليومية التي يتم ارتكابها ضد أبناء الشعب الفلسطيني، حسبما جاء في بيان الجمعيات السياسية.

وأشادت الجمعيات السياسية بمواقف شعب البحرين بكافة فئاته وشخصياته وجمعياته السياسية ومؤسسات المجتمع المدني الرافضة لكافة أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني. ودعا البيان إلى ترجمة المواقف المناهضة للتطبيع بمقاطعة أي سلع وخدمات ضمتها الاتفاقيات الموقعة في الجوانب التجارية، أو السياحية، أو الصحية، أو الاستثمارية، أو غيرها.

النعيمي في منتدى التقدمي

الليبرالية الجديدة عمقت التحديات الاقتصادية خليجياً

أكدّ الرفيق عبدالجليل النعيمي عضو اللجنة المركزية للمنبر التقدمي أن نهج الليبرالية الجديدة الذي اتبعته بلدان مجلس التعاون كحل للخروج من أزمة الدولة الريعية عمّق الأزمة الاقتصادية الاجتماعية ليتسارع انهيار «الطبقة الوسطى» ويتسع الفقر وتزداد البطالة بشكل مقلق.

وأوضح النعيمي أنه في الوقت الذي يشهد فيه العالم هروباً كبيراً من الدولار الأميركي إلى الذهب أساساً، فإن دول مجلس التعاون الخليجي التي تمتلك 34.7٪ من إجمالي أصول الصناديق السيادية في العالم، لا تزيد حصتها من إجمالي الاحتياطي الذهبي في خزائن دول العالم عن 1.3٪ فقط .

جاء ذلك في محاضرة قدّمها النعيمي في منتدى التقدمي في 25 أكتوبر المنصرم عبر وسائط التواصل الاجتماعي بعنوان: «دخلنا النيوليبرالية في زمن أفولها. ماذا بعد ؟»، شدد فيها على أن الدعوات «لإنعاش» الاقتصاد في إطار ذات النهج النيوليبرالي القائم لن يؤدي إلا إلى مزيد من الانكماش وانزياح المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية إلى المنطقة السلبية أكثر فأكثر.

ودعا النعيمي إلى إعادة ترتيب الموارد الداخلية وتعبئتها من أجل تنمية حقيقية تخدم التقدم الاقتصادي الاجتماعي، موضحاً أنه من أجل ذلك يجب أن يُحدد معدل واقعي مستهدف للنمو، وتجري تعبئة هذه الموارد من أجل تحقيقه على أساس خطة علمية للتنمية الاقتصادية الاجتماعية الشاملة تشرف على تنفيذها إدارة كفوءة. هذا هو الحل الواقعي والدستوري في نفس الوقت، إذ تنص المادة»10» من دستور مملكة البحرين على اعتماد الخطة كأساس ومنطلق للتنمية.

رؤية التقدمي للإصلاح الحقيقي لأوضاع صندوق التقاعد والتأمين الاجتماعي

أعلن المنبر التقدمي عن رؤية متكاملة لإصلاح أوضاع صندوق التقاعد والتأمين الاجتماعي، تكوّنت من تسعة بنود، نشرت على حسابات التقدمي الإليكترونية، وتضمنت مقترحات عملية وملموسة للتغلب على ما يعانيه الصندوق من تعثر بسبب سوء الإدارة وتفشي الفساد، وفيما يلي بنود هذه الرؤية:

1 – تحقيق إصلاح إداري جذري في إدارة أموال التقاعد، والمجيء بكوادر وطنية مشهود لها بالكفاءة والإخلاص والنزاهة.

2 – إعادة الزيادة السنوية بنسبة 3٪، تعويضاً عن معدل التضخم السنوي، وتعديلها وفق مراجعة دورية لمعدلات هذا التضخم.

3 – استبدال التدابير المتَّخذة من صندوق التقاعد والتأمين الاجتماعي بإصلاحات جذرية وجدِّية تضع مصلحة المتقاعدين والصندوق فوق مصالح القوى المتنفذة.

4 – خفض الحد الأقصى للمعاش التقاعدي إلى 2500 دينار شهرياً، وسريانه على جميع المتقاعدين، بما في ذلك قدامى المتقاعدين، إعمالاً لعدالة التوزيع اجتماعياً بينهم.

5 – العودة إلى النموذج التمويلي الأصل للنظام التقاعدي بنسبة 21٪، بحيث يتحمل رب العمل 14٪ والمشترك 7٪، لتعزيز ديمومة أموال الصندوق.

6 – إعادة العمل بالتأمين على العمالة الأجنبية الذي أُوقِف منذ عام 1977.

7 – إعادة النظر في سياسة استثمار أموال التقاعد خاصة في الأسهم والأوراق المالية، والتحول نحو الاستثمار في مشاريع إنتاجية تخلق فرصَ عملٍ لائقٍ للمواطنين.

8 – سنُّ قوانين تمنع خصخصة النظام التقاعدي القائم، حفاظاً على أموال التقاعد باعتبارها أموالاً عامة، وحماية المؤمن عليهم من الوقوع تحت رحمة رأس المال الخاص بعد تقاعدهم.

9 – اعتبار الدولة ضامناً لصندوق التقاعد لحماية أموال المتقاعدين وضمان سير الضمان الاجتماعي الذي يكفله الدستور.

فضفضة

الرّق الجديد

عيسى الدرازي

حسناً فعلت جائحة كورنا حينما كشفت ما كانت تخفيه كنتونات العمالة الوافدة طوال عقود. حجم الاستغلال والبيئة السكنية غير الملائمة كانا أكبر مما تغفله الأنوف التي أزكمها ما وصلت إليه بعض النفوس البشرية الدنيئة التي لا ترى في تكديس عشرات البشر في مساكن لا تتسع حتى لربع هذه الاعداد، أي مانع، كونها تؤتي أتاوتها كل مطلع شهر.

ولم تكتف الجائحة برفع الغطاء عن حقيقية مساكن العمالة الوافدة فحسب، بل عرّت ممارسات عديدة ومستمرة جميعها تندرج ضمن انتهاك حقوق العمالة الوافدة وتقع ضمن نطاق العمل الجبري المجرمة دولياً.

الاجتهادات الرسمية لم تتوقف لتحجيم قضايا الإتجار بالأشخاص التي غالباً ما تتخذ أبعاد دولية متشعبة جداً، وكان آخر تلك الخطوات الحميدة إنشاء نيابة متخصصة بالإتجار بالأشخاص، وهي خطوة في الاتجاه الصحيح، نحو تعزيز المنظومة العدلية وتطوير فاعليتها لتحقيق المرجو منها.

وبحسب قرار النائب العام فإن النيابة الجديدة تختص «بالتحقيق في تلك النوعية من الجرائم المنصوص عليها في القانون رقم (1) لسنة 2008 بشأن مكافحة الإتجار بالأشخاص، وكذلك المرتبطة بها في أي قانون آخر مثل العمل القسري وحجز الأجور والجرائم المؤثمة بمقتضى قوانين هيئة تنظيم سوق العمل، وتنظيم السياحة، والتسوّل والتشرد، وغير ذلك من الجرائم الماسة بحقوق الإنسان وحريته التي قد تبرز فيها صورة الاستغلال في جريمة الإتجار بالأشخاص».

وكما يشير رئيس نيابة الإتجار بالأشخاص فإن: «جريمة الاتجار بالأشخاص قد تتداخل مع جرائم أخرى ممثلة أو مقاربة في بعض الأركان سواء فيما يتعلق بالفجور والدعارة العمل القسري وحجز الأجور وغيرها».

لذلك فإن نطاق قضايا الإتجار بالأشخاص لا ينحصر في قضايا الاستعباد الجنسي بل تفشت مظاهر أخرى للاستعباد البشري والمتاجرة بالرق من جديد منها العمل الجبري استغلالاً لحاجة العمالة عبر استخدام أساليب قد لا تبدو ذات طابع عنيف إلا استمرار العامل في عمله دون رغبة منه في ذلك ورغماً عنه لأي سبب كان، ويكفي ذلك ليندرج ضمن مفهوم العمل الجبري.

لذلك فإن العبء الملقى ضمن اختصاص نيابة الإتجار بالأشخاص غير هيّن، وهو ما يترتب عليه إحكام المنظومة القضائية كي لا يتسرب أحد الجناة من العدالة، كما فإن ملاحقة المتسببين بقضايا الإتجار بالأشخاص تحتاج إلى تشريعات صارمة وواضحة لا تقبل التأويل، فغالباً ما يتعاقب المجرمين خلف قضايا الاتجار بالأشخاص، ما تستوجب سن تشريعات تضمن ملاحقة مرتكبي الجريمة في سلسلتها الهرمية من بدايتها حتى القاعدة.

«التقدمي» يكرّم مخرج وفريق عمل فيلم «أبو الفعايل»

كرّم «التقدمي» الفنان أحمد الفردان مخرج فيلم «أبو الفعايل» عن حياة وإبداع الفنان الراحل سلمان زيمان، ومعه فريق العمل المكون من: المصوّر محمد الصنديد، ومنفذ المونتاج عيسى الصنديد، ومديرالتصوير والإضاءة محمد الكعبي، وواضع مونتاج الإعلان الترويجي حسام الخضر.

تمّ التكريم في حفل أقيم بمقر التقدمي بحضور عدد من أعضاء المكتب السياسي، وأعضاء اللجنة المكلفة بمتابعة تكريم الفنان الراحل.

وقبل أن يسلم دروع التكريم لأعضاء فريق الفيلم، ألقى الأمين العام الرفيق خليل يوسف كلمةً أشاد فيها بجهود المخرج الفنان أحمد الفردان وفريق العمل على هذا الإنجاز الفني الرائع، الذي تمّ تنفيذه وإنتاجه خلال فترة قصيرة مما يدل على عطاء وإبداع الشباب في المجال الفني، وعلى ما أظهروه من حب ووفاء لفناننا التقدمي الراحل.

من جانبه شكر مخرج الفيلم أحمد الفردان المنبر التقدمي على هذا التكريم، قائلاً إن «التقدمي» هو بيته، وإن الفنان الراحل سلمان زيمان يستحق ذلك، وعبرّ عن شكره للفريق الذي عمل معه في انجاز الفيلم.

يذكر أن فيلم « أبوالفعايل» الذي انتجه المنبر التقدمي يسرد جوانب من سيرة وعطاء الفنان الراحل سلمان زيمان من خلال مقابلات مع بعض أفراد عائلته وبعض رفاقه وأصدقائه، فضلاً عن سفير دولة فلسطين في مملكة البحرين حول مكانة فلسطين في أغاني الفنان الراحل، وحقق الفيلم بعد عرضه على قناة «التقدمي» في «يوتيوب» آلاف المشاهدات حتى الآن.

من منشورات التقدمي وفي طبعتين متتاليتين

«قـالـوا عــن سلمــان زيمــان»

صدر عن المنبر التقدمي كتاب «قالوا عن سلمان زيمان»، الذي حوى شهادات قيلت حول الفنان البحريني الراحل سلمان زيمان لكتّاب من البحرين والكويت والسعودية وعُمان وغيرها، وعدداً من التقارير والتغطيات الإعلامية التي نشرت بعد رحيله، كما تضمّن ملحقا بمحاضرتين قدمهما الفقيد، أولاهما عن واقع وآفاق الموسيقى والأغنية في البحرين، والثانية عن مكانة القضية الفلسطينية في الأغنية البحرينية والعربية بشكل عام.

من المشاركين في الكتاب: أحمد حامد، أحمد الغانم، أمل فريد، بدر عبدالملك، بروين شعبان، جنان العود، حسن مدن، حمد الصبحي، عبدالحميد القائد، حميد الملا، خليل يوسف، رامي رشيد، سعدية مفرح، سعود العنزي، سوسن دهنيم، سيد أحمد رضا، عبدالخالق العلي، عبدالنبي سلمان، عثمان أحمد، فاطمة الناصر، فهد المضحكي، قاسم حداد، لافي الشمري، مالك آل فتيل، محمد عبدالملك، محمد الغسرة، محمد كمال، مهدي مطر، نعيمة السمّاك، ياسمين خلف، يعقوب الجناحي، يوسف محمد، محمد الغسرة.

وبالنظر لما حققه الكتاب من إقبال واسع فقد نفدت نسخه خلال أيام فقط من صدوره، وقد قام «التقدمي» بإصدار طبعة ثانية له، ويقع الكتاب في نحو 155 صفحة، وتتوفر نسخه في مقر المنبر التقدمي بمدينة عيسى.

في الذكرى الأولى لرحيل وداد المسقطي

إيمان شويطر

مرّت مؤخراً الذكرى الأولى لرحيل السيدة وداد المسقطي، التي غادرتنا في الثالث والعشرين من اكتوبر 2019، لتفقد حركتنا النسائية إحدى قاماتها المخضرمة التى تركت إرثاً سيظلّ باقياً في مجمل العمل الإجتماعي التطوعي، هي التي آمنت بأن غاية ما قدمته كان كرامة المرأة وتمكينها والتوعية بحقوقها، دون أن تسعى لشهرة أو عائد.

ولم يثنها منصبها الوظيفي الرفيع كمديرة لإدارة الموارد البشرية والمالية في وزارة النفط عن إعطاء العمل النسوي والتطوعي الوقت والجهد اللازمين، ولم يحل دون إصغاءها لأنين وآهات النساء وأطفالهن في ردهات المحاكم، ولاعن معاناة المرأة في أي موقع، وخاصة المرأة البسيطة المغلوبة على أمرها، بل عملت بدأب ومنذ العام 1982 مع زميلاتها في لجنة الأحوال الشخصية حتى تكللت الجهود بصدور قانون أحكام الأسرة الموحد في عام 2017 وإن لم يرق إلى مستوى الطموح.

في العام 1976 تقدّمت الفقيدة وداد وزميلاتها في جمعية نهضة فتاة البحرين إلى وزارة التربية والتعليم لفتح فصول محو أمية النساء، قبل أن تتبناه الوزارة عندما فتحت مدرسة النبيه صالح للبنين، فاستطاعت الفقيدة بحنكتها وذكائها وقدرتها على تلمس إحتياجات المرأة ومواكبة التطور الحاصل في منظومة العمل الإجتماعي التطوعي في العالم، أن تحدث نقلة نوعية في عمل الجمعية، ليتحول من عمل خيري إلى عمل نسائي نوعي ملتزم ومدافع عن قضايا المرأة وحقوقها.

شاركت وداد المسقطي في مؤتمر بيجين +5 الذي عُقد بمقر الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك عام 2000، وشاركت في القمة التى أقرت بها إستراتيجية النهوض بالمرأة العربية في الأردن عام 2002، ووضعت الفقيدة على طاولة الحوار في لقاءات الجمعية، إتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) التى وقعت عليها مملكة البحرين، وعرّفت ببنودها وأهمية التوقيع عليها والإلتزامات المترتبة علي الدولة الموقعة وإلتزامات المجتمع المدني في إعداد التقرير الأهلي موضحة تحفظات المملكة عليها وأهمية رفعها، وكل ما يتعلق بالإتفاقية وبلجنة السيداو ومهامها في الأمم المتحدة.

أخذت على عاتقها حمل رسالة الرعيل الأول من مؤسسات الجمعية في عام 1955، ولم تدخر جهداً لرفع إسم الجمعية وتوسيع مشاريعها والمؤسسات التابعه لها، وفي فترة رئاستها للجمعية عام 1995 تمّ وضع حجر الأساس لمركزالنهضة الأسري، والذي سمي فيما بعد بمركز عايشة يتيم للإرشاد الأسري التابع للجمعية، ولم يكن يهدأ لها بال إلا بعد أن تطمأن على حسن سير أي مشروع وإرساء دعائمه، وما ولادة فكرة تأسيس مشروع دعم المرأة المعيلة في عام 2009 إلا نتاج إحساسها بمعاناة المرأة التى تتولى إعالة أبنائها وأهمية تمكينها وإستقلاليتها إقتصاديا.

في العام 2001 شغلت رئاسة لجنة لجنة صياغة النظام الأساسي للإتحاد النسائي، حيث كانت عضوة في اللجنة التحضيرية للإتحاد الذى ناضلت مع زميلاتها من اجل قيامه بكل تصميم منذ ثمانينيات القرن الماضي وحتى إشهاره في العام 2006.

وأصبحت في عام 2016 عضوة اللجنة الإستشارية للإتحاد النسائي، وحرصت من هذا الموقع على تقديم كل الإستشارات التي تعزز مكانة الإتحاد وتبقيه صوتا معبرا حقيقياعن طموحات المرأة ومدافعاً عن حقوقها، ولم تتغيب عن الجمعية إلا عندما اشتدّ بها المرض، ولكن ثقتها بأخواتها ورفيقاتها في الجمعية وماغرسته فيهن من تفانٍ وإخلاص، وما كرسته وأرسته من قواعد للعمل الإجتماعي النقابي وخبرة يجعلها تطمئن وتنام قريرة العين بأنهن سيواصلن مسيرتها بتقدم وثبات.

محطات مضيئة في نضال حركتنا العمالية

جواد المرخي

سنتطرق لبعض ما دوّن عن نشوء وتطوّر الحركة العمالية في البحرين، بعد أن تحوّل غالبية الكادحين في البحرين إلى عمال، خاصة بعد تأسيس شركة بابكو.

خاضت الحركة العمالية البحرينية نضالات مطلبية، حقوقية ونقابية، أفضت إلى تحقيق الكثير من المنجزات عبر مراحل زمنية مختلفة، قدّمت خلالها تضحيات جسيمة، من خلال الكوادر العمالية، خاصة منها تلك التي ساهمت في العمل الوطني عبر وقفات بطولية، منها تنظيم الاضرابات والاحتجاجات والمسيرات.

قبل ظهور الحركة العمالية، كان غالبية السكان في المدن والأرياف من الفلاحين والحرفيين، فبعض الفلاحين امتلكوا أراض يعملون عليه، فيما عمل كثيرون كعمال زراعيين في الأراضي التابعة للملاك شبه الإقطاعيين، كما كان البحر هو مصدر الرزق للألوف من الكادحين، ومنهم صيادي اللؤلؤ الغواصين الذين عانوا كثيراً من صنوف القهر والاستعباد، ولهم أيضاً مواقف بطولية في الدفاع عن حقوقهم باحتجاجات غالباً ما جوبهت بالقمع.

وهناك صيادو الأسماك، والعاملون في استخراج الرمال والحصى البحري لإستخدامه في البناء، كما اشتهرت البحرين بصناعة السفن بأحجام مختلفة، وكانت تباع لدول الخليج ودول الجوار مثل سواحل العراق وإيران، كما اشتغل الكثيرون على صناعة أدوات صيد الأسماك، وصناعة الفخار والنسيج، فضلاً عن مهن الحدادة والنجارة والبناء، وبعض من عملوا فيها هاجروا للعمل في دول الخليج، وبينهم من استقرّ هناك.

شكّل اكتشاف النفط وتسويقه إيذانا بانشاء المرافق، وتشييد الطرق وشبكات الكهرباء والماء والمواصلات، ونشأت للأيدي العاملة الوطنية والاعتماد عليها بصفتها عمالة رخيصة، فالتحق بالعمل في شركة بابكو الألوف من الكادحين الذين تدرجوا في العمل بالاستفادة من خبرات الأجانب وفيما بعد من التدريب والتعليم.

وهكذا نشأت لبنات الطبقة العاملة البحرينية الفتية الصناعية، رغم الظروف الصعبة التي عانى العمال منها، جراء تعرضهم للاستغلال البشع في ظلّ هيمنة الاستعمار البريطاني، فتبلور الوعي في صفوف العمال تدريجياً.

خاض العمال في (بابكو) العديد من الاحتاجاجات، ذات الطابع العفوي وغير المنظم حتى تفجر أول اضراب منظم للعمال عام 1938 في قسم الخزّانات في سترة، وطرحت فيه مطالب دفع علاوات للعمال العاملين في النوبات الليلية، والمساواة مع العمالة الأجنبية في الأجور، وتوفير سبل السلامة والمواصلات ، إضافة إلى المطالبة بتشكيل النقابات العمالية.

وفي أواخر عام 1942 قام عمال النقل التابع لشركة بابكو باضراب آخر، تلاه اضراب أقوى في 22 ديسمبر من عام 1943، تركزت فيه المطالب على تحسين ظروف العمل، رفع سقف الرواتب المتدنية، ضرورة توفير سبل التدريب للعمال، وأن تكون الجمعة من كل أسبوع يوم عطلة للعمال مدفوعة الأجر، ووقف الغرامات التي كانت تفرض على العمال جراء بعض الأخطاء البسيطة وغير المقصودة.

ومع تأثر الحركة العمالية البحرينية بالمدّ الثوري بالوطن العربي، اليساري والقومي، دخلت في ترابط عضوي مع القوى الوطنية المختلفة والحركة الجماهيرية بشكل عام والتي كانت آنذاك تطالب بالاستقلال الوطني.

وفي العام 1954 تأسس اتحاد العمل البحراني ليكون محطة مضيئة في مسيرة طبقتنا العاملة، في إطار النهوض الوطني بقيادة حركة الهيئة، ولقى الاتحاد تجاوباً منقطع النظيرمن ألاف العمال، وتقول بعض المصادر أن عدد أعضائه بلغوا 11 ألفاً، وأسندت قيادة الاتحاد للمناضل الوطني عبدالرحمن الباكر.

33 مؤسسة ترفيهية مهددة بالإغلاق

ناشد أصحاب شركات ترفيهية أن يشملهم الدعم الحكومي للقطاعات المتضررة. وقالوا لـ«أخبار الخليج»: نحن أصحاب المؤسسات الترفيهية وتنظيم الفعاليات نعاني من غلق محلاتنا الكلي منذ مارس، وقامت تمكين بدعمنا (الحزمة الأولى) لأشهر ابريل ومايو ويونيو، ثم تم استثناؤنا من دون أي سبب أو مبرر (من الحزمة الثانية) منذ شهر يوليو إلى الآن. ولفتوا إلى أنهم يقومون بدفع رواتب الموظفين وفواتير البلدية والشؤون الاجتماعية والسجلات وهيئة تنظيم سوق العمل بالإضافة إلى أنهم يتعرضون لدفع الغرامات إذا عجزوا عن الدفع.

وأوضحوا أنه تم وقف نشاطهم منذ بداية الجائحة حتى اليوم وخاصة مع قدوم المواسم والأشهر التي تعتبر من أهم المواسم لدخل قطاع الترفيه (إجازات الأعياد وإجازات الصيف للأطفال). وعبر 33 صاحب شركة ترفيه عن أملهم في أن يشملهم الدعم الحكومي خلال هذه الفترة إذ حصل معظمهم على الدعم في الفترة الأولى، في حين لم تحصل 10 شركات على الدعم نهائياً منذ بداية الأزمة. وأكدوا أن الدعم الحكومي سيحافظ على استقرار الشركات والمؤسسات المتضررة من الجائحة، وسيتيح لها فرصة العمل على إعادة ترتيب وضعها، وعودتها مجددا لممارسة نشاطاتها على أكمل وجه، بما يحقق لها الربحية والاستمرارية والمحافظة على الكوادر البحرينية الموجودة.

«اخبار الخليج» – 2020/10/4

«كورونا» تُحمّل صندوق «التعطل» دفع 50 %من رواتب البحرينيين

قرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة 29 سبتمبر الماضي أن تتكفل الحكومة بدفع 50٪ من رواتب البحرينيين المؤمن عليهم في القطاع الخاص للقطاعات الأكثر تضرراً لمدة ثلاثة أشهر بدءاً من أكتوبر 2020، وسيستفيد منه 23 ألف عامل بحريني و4 آلاف منشأة، وفي هذا الصدد وافق المجلس على مشروع قانون بإضافة بند جديد برقم (5) إلى الفقرة (ج) من المادة (8) من المرسوم بقانون رقم (78) لسنة 2006 بشأن التأمين ضد التعطل والتوصية بإصداره وفق المادة (38) من الدستور.

كما وافق مجلس الوزراء على دفع 50٪ من رواتب ما مجموعه 524 من العاملات في رياض الأطفال ودور الحضانة من غير المؤمن عليهم لمدة 3 أشهر بدءاً من أكتوبر 2020،

كما قرر المجلس تمديد دعم الأجور المقدّم من صندوق العمل (تمكين) لمدة 3 أشهر إضافية ابتداءً من شهر أكتوبر 2020 وذلك بواقع 150 دينار شهرياً لدعم 950 من سواق سيارات الأجرة وسواق النقل المشترك والباصات والحافلات و829 مدرب سياقة من غير المؤمن عليهم ، وقرر مجلس الوزراء أيضاً اعفاء المنشئآت والمرفقات السياحية من دفع رسوم السياحة لمدة 3 أشهر إضافية ابتداء من شهر أكتوبر 2020 .

من جهته قال وزير العمل والتنمية الاجتماعية إن الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي ستتولى دعم رواتب البحرينيين العاملين بشركات ومؤسسات القطاع الخاص الأكثر تضرراً من الجائحة بحد أقصى 50 ٪ من الأجر المؤمن عليه، وذلك من وفورات صندوق التأمين ضد التعطل، على أن يكون العامل البحريني المشمول بالدعم مؤمن عليه بنهاية شهر سبتمبر 2020، أو من البحرينيين الذين يتم توظيفهم والتأمين عليهم عن طريق البرنامج الوطني للتوظيف حتى نهاية الشهر الذي يسبق تاريخ الصرف.

وكالة أنباء البحرين 29/ 9/ 2020 - بتصرف

طلب برلماني للتحقيق في «الصناديق التقاعدية»

تقدّم عدد من النواب، هم إبراهيم النفيعي، محمد بوحمود، أحمد الأنصاري، خالد بوعنق، كلثم الحايكي، سيد فلاح هاشم، عبدالنبي سلمان، بطلب إلى رئيس مجلس النواب بشأن تشكيل لجنة تحقق حول صناديق التقاعد التي تدار من الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية.

وجاء في الإيضاح أن طلب التحقيق يتكوّن من 3 محاور؛ أولها التحقق من أسباب العجوزات الاكتوارية للصناديق التي تديرها الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، أما المحور الثاني فهو التحقق من فعالية استثمارات أموال الصناديق التقاعدية التي تديرها، والمحور الثالث والأخير هو التحقق من أداء الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي في إدارة الصناديق التقاعدية.

وأكدّ النائب إبراهيم النفيعي ممثلاً عن النواب مقدمي المقترح بأن الصناديق التقاعدية تعد ضمانه مهمة لحفظ حقوق المواطنين الذين بذلوا جهودهم طيلة سنين خدمتهم الوظيفية، وقاموا بتمويل جزء مهم من أموال هذه الصناديق من خلال الاشتراكات التي سدّدوها طوال حياتهم الوظيفية، ونظرًا للعجوزات الاكتوارية الكبيرة التي تواجهها الصناديق التقاعدية، ولغرض التحقق من أسباب تلك العجوزات والإجراءات التي بموجبها تُعالج تلك الأسباب، والتحقق من كفاءة أداة الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي في تخفيض تلك العجوزات والتحقق من فاعلية الاستثمارات.

«الأيام» - 2020/10/19

مفصول: 3 أشهر دون رد من العمل

شكى مواطن لجريدة «البلاد» من تعرضه للفصل التعسفي من مكان عمله في إحدى المرافق الفندقية. اتجه المواطن بعد تعرضه للفصل للجهات القضائية من اجل الحصول على حقوقه العمالية، إلا ان المواطن اصطدم بجدار يمنعه من دخول مبنى الوزارة لتقديم شكوى بفصله بسبب الاجراءات المتخذة بسبب الجائحة وتخصيص ارقام وقنوات الالكترونية لتلقي الشكاوي. وواصل المواطن بأنه استجابة للإجراءات المتخذة حاول التواصل مع المسؤولين في الوزارة والمعنيين منذ فصله من عمله في يونيو 2020 وحتى شهر أكتوبر الماضي لم يحصل على الرد من الوزارة، مشيراً إلى أنه اصبح غير قادر على اطعام عائلته و توفير اللقمة اليومية الكريمة وهو على اتصال دائم بأرقام الوزارة المخصصة لتلقي الشكاوي إلا ان يعاني من عدم الرد.

«البلاد» – 2020/10/8

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

120 ألف أسرة بحرينية مسجلة تحت علاوة الغلاء

٪7
زيادة في دعم علاوة الغلاء

قال وزير العمل إن الحكومة تدعم كافة المواطنين بصورة غير مباشرة من خلال 15 برنامج دعم غير مباشر، تتمثل في الخدمات التعليمية، والصحية، وخدمات الكهرباء والماء، والمواد الغذائية، والتأمين الاجتماعي، ودعم الراتب الشهري للموظف البحريني في القطاع الخاص عند التوظيف عن طريق البرنامج الوطني للتوظيف، والإسكان، والمشتقات النفطية، ورعاية كبار المواطنين، علماً بأن الحكومة الموقرة رفعت إجمالي مبالغ الدعم المالي السنوي المقرر من 385 مليون دينار بحريني في العام 2018 إلى 435 مليون دينار بحريني في العام 2019، بنسبة زيادة تبلغ 7٪.

وقال الوزير في بيان له بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة الفقر، والذي يوافق 17 من أكتوبر من كل عام، بأن علاوة الدعم المالي (علاوة الغلاء) تصرف لتمكين الأسر البحرينية ولإعانتها على مواجهة الغلاء في الأسعار، وفي مقدمتها الأسر التي تحصل على مساعدة الضمان الاجتماعي كونها الأسر الأكثر احتياجا، ويضاف إليها جميع أرباب الأسر من العاملين في القطاعين العام والخاص، حيث تستفيد من هذه العلاوة أكثر من 120 ألف أسرة، وذلك بقيمة 100 دينار لمن يقل دخله الشهري عن 300 دينار، و70 دينارًا لمن يقل دخله الشهري عن 700 دينار، و50 دينارًا لمن يقل راتبه عن 1000 دينار».

وأشار الوزير الى ان علاوة تحسين المعيشة للمتقاعدين تشمل جميع المتقاعدين من القطاعين العام والخاص دون استثناء، وتصرف لهم مع المعاش التقاعدي، كما تصرف للمستحقين بعد وفاة صاحب المعاش بحسب نسب استحقاقهم للمعاش، وذلك تقديراً لدور المتقاعدين البارز طوال فترة عملهم وعطائهم في خدمة الوطن وتنميته بكل تفان ويستفيد منها نحو 82 ألفاً لتسهم في تحسين المستوى المعيشي لهم، حيث يتم صرفها من قبل الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي. فيما يستفيد 45 ألف مواطن من علاوة بدل السكن التي تقدمها وزارة الإسكان لمن مر على طلبه الإسكاني 5 سنوات.

وكالة أنباء البحرين - 2020/10/16 – بتصرف

بمبادرة من كتلة "تقدّم"

اقتراح بقانون لرفع الحد الأدنى للمساعدات الاجتماعية

باقتراح من كتلة «تقدّم»، دفع عدد من النواب باقتراح بقانون بتعديل قانون الضمان الاجتماعي، يهدف إلى رفع الحد الأدنى من مبالغ المساعدات الاجتماعية الشهرية، إذ ينص التعديل المقترح على أنه لا يجوز في جميع الأحوال أن تقل المساعدة الاجتماعية شهرياً عن 100 دينار للفرد الواحد، و160 دينارا للأسرة المكونة من فردين، و50 دينارا لكل فرد من أفراد الأسرة التي يزيد عددها على ذلك.

عضو "تقدّم" النائب السيد فلاح هاشم أحد مقدمي المقترح قال إن المطالبة برفع مبلغ المساعدات المالية التي تقدّمها وزارة التنمية الاجتماعية إلى المستحقين تأتي انطلاقا من السعي إلى توفير ظروف حياة أفضل لشريحة غير قليلة من أبناء الوطن، ولتحسين وضعهم المادي والمعيشي، وتمكينهم من مواجهة موجات ارتفاع تكاليف المعيشة في جميع جوانب الحياة.

وأضاف: أن مقتضيات المصلحة العامة لهذا المقترح تتمثل في توفير حياة مستقرة لتلك الفئات وتمكينهم من العيش بكرامة ومساعدتهم على تصريف شؤون حياتهم ومواجهة ارتفاع الأسعار، ووقاية المجتمع من أخطار العوز لعدم كفاية ما يقدم من مساعدات لتأمين متطلبات الحياة اليومية، وأيضا لتحقيق العدالة والأمان الاقتصادي للمواطنين ممن هم في أمس الحاجة إليه.

بحضور ممثلي جمعيات خيرية

هاشم يبحث مع حميدان دعم العمل التطوعي والخيري

بحضور كل من السيد عدنان المحفوظ نائب رئيس صندوق سار الخيري، وعبد الامير عبد الله سلمان رئيس مجلس ادارة جمعية القدم الخيرية، التقى وزير العمل والتنمية الاجتماعية جميل حميدان، عضو كتلة تقدّم النائب السيد فلاح هاشم، حيث جرى بحث التعاون المشترك مع مجلس النواب بما يخدم العمل التطوعي والخيري.

وفي اللقاء أكدّ النائب هاشم على ضرورة تعزيز الاستقرار الوظيفي للمواطنين، والإرتقاء بخدمات الرعاية الاجتماعية المتنوعة، ودعم العمل التطوعي والخيري، منوهاً في الوقت نفسه بالتسهيلات الممنوحة للمنظمات الاهلية وتعزيز دورها الفاعل لدعم العمل الانساني في البحرين.

فلاح هاشم: هيئة سوق العمل مطالبة بالشفافية في بيانات الوظائف

طالب عضو كتلة «تقدّم» النائب السيد فلاح هاشم وزارة العمل وهيئة سوق العمل بإظهار الشفافية المطلوبة والجدية في ما تنشره يومياً من إعلانات عن الوظائف المتاحة.

وقال هاشم: إن وزارة العمل والتنمية الاجتماعية تشترط على الباحثين عن العمل شرط الجدية، وذلك من خلال التسجيل واستكمال إجراءاته وما يتطلبه من تقديم الأوراق ومستندات المؤهل أو المستوى التعليمي والدورات التدريبية، والخبرة السابقة، كما يتضمن اشتراطات الجدية المتابعة الدورية، سواء بالحضور لمبنى الوزارة سابقاً ام بالتواجد على المنصة حالياً، وحضور الدورات التدريبية المقررة أو المقترحة من الوزارة، وهي من متطلبات التوظيف للباحث عن العمل.

وأوضح هاشم إن هذا ما لم نجده من جانب الوزارة، قائلاً إن "المطلوب من الوزارة كذلك وما تبعها لاحقاً هيئة سوق العمل، وخاصة في الإعلانات التي تنشرها يومياً عن الوظائف، أن تكون هي على نفس القدر والمستوى من الجدية والشفافية، وذلك بتضمين الإعلان عن هذه الوظائف اشتراطات التقدّم لها، مثل: المؤهل الدراسي، والخبرة، ومقدار الأجر الأساسي، ونوعية العقد، وما إذا كانت هناك أية امتيازات أخرى".

كما أكدّ هاشم في تصريحه على "ضرورة الإعلان عن نتائج هذه الإعلانات، ومدى مساهمتها في توظيف من تضمنتهم قوائم الباحثين عن العمل في وزارة العمل وديوان الخدمة المدنية».

مطرقة البرلمان

الديمقراطية أولاً وأخيراً!

عبد النبي سلمان

بغض النظر اتفقنا أم اختلفنا حول اهمية وصلاحيات المجالس التشريعية في دولنا العربية أو حتى في غالبية دول ما يعرف ب»العالم الثالث»، أو حول مدى استقلالية تلك السلطات التشريعية القائمة وما يكتنفها من عيوب ومثالب، وبالتالي قدرتها على إحداث الرقابة المطلوبة على أداء الحكومات، واجتراح الحلول والمقترحات التي تلبي طموحات مجتمعاتنا في تحديث وتطوير منظومة التشريعات والقوانين لديها، وتحقيق الإصلاح الحقيقي ومكافحة وجوه الفساد وحماية المال العام.

إلا أن تلك السلطات التشريعية على الرغم من مقوماتها المتباينة بين بلد وآخر، تبقى في البدء وفي الخاتمة مؤسسات موجودة ضمن الهياكل السياسية القائمة في بلداننا، ويبقى بعدها التحدي الأكبر الذي ليس لدينا للأسف، خيار آخر سواه هو مدى قدرة مجتمعاتنا ودولنا على الصبر على مهمة تطوّر تلك التجارب(..) لإحداث التحوّل الإيجابي وتقويم عوامل الإعوجاج والنكوص فيها.

وفي المجمل هي تجارب إما غير مكتملة أو معاقة أو حتى مشوّهة، ونحن بطبيعة الحال لا نريدها أن تبقى عنواناً فارغاً للتجاذبات السياسية العدمية إلى ما لا نهاية، في وقت تتسارع فيه تحولات الجغرافيا والتاريخ وتداخل المصالح وقوى النفوذ إقليمياً ودولياً، ويتمّ تهميش ادوارنا واضاعة أبسط الحقوق وإهدار أبسط المسلمات والثوابت والقيم ويكون علينا بعدها أن نقبل فقط بدور المتفرجين.

وكثيراً ما يتمّ التعويل على حيوية المجتمع ودور مؤسساته ومواقفها تجاه مختلف القضايا وقدرتها على إحداث الفارق في الممارسة السياسية والاقتصادية بشكل عام، وهذه قضية تستحق فعلاً التوقف عندها طويلا، فتلك الحيوية هي بارومتر ومقياس التطور للمجتمعات، مضافا إليها فاعلية النخب من المثقفين والسياسيين وكتاب الرأي والفنانين والباحثين وغيرهم، والمشكلة تصبح عصية على الجميع حين يغيب او يُغَيّب هذا الدور لسبب او لآخر، نتيجة ما تعانيه تلك المجتمعات من كبت سياسي وقهر اجتماعي، وانعدام للحريات، أو من تغييب لدور النخب والنقابات والشباب والمرأة، واستبدال مؤشرات وعوامل النهوض تلك، بأخرى تعزز السقوط في براثن التراجع والاسفاف وإشاعة الانتهازية في المجتمع والنكوص مجددا عن قيم التحديث والتطور والتقدم.

هنا يكون المجتمع أكثر تعطشاً لاستعادة واسترداد عوامل نهوضه مجدداً، ليبدأ في رفض واقعه الجديد الذي أصبح عبئا، محاولاً مقاومة السقوط المريع في مجموعة القيم والمبادىء والثوابت التي فقدها المجتمع عبر مراحل زمنية محددة، محاولاً التشبث بتلك القيم والثوابت، لأنها ببساطة هي آخر ما تبقى له من رصيد إنساني وحضاري ولا يريد أن يفقدها مهما كان الثمن.

ذلك هو شعور شرائح واسعة من مجتمعاتنا العربية والشرق اوسطية وسط هذا الكم من الدمار الاجتماعي والثقافي والفوضى وضياع الهوية الوطنية،وهنا بالضبط تبحث الشعوب الحية عن دور النخب والمؤسسات والأحزاب الحقيقية القادرة على قيادة واستنهاض تلك الروح التي سادت يوماً، وتلاشت لاحقاً بفعل عوامل الزمن وهيمنة السياسات المعقية لحركة المجتمع.

هنا يصحّ القول إن إرادة الشعوب تبقى هي الخيار الحاسم والمتاح، ولا سبيل أمامها سوى التعويل على مزيد من الوحدة والتلاحم، عوضاً عن الوضوح في الأهداف وتعزيز النظرة المتفائلة للمستقبل، والوعي بحجم ما هو قادم من تحديات ومخاطر لا طاقة للمجتمع على تحملها من دون أدوات حقيقية، في مقابل عالم هو أكثر تقدّما واستعداداً ويمتلك الكثير من أدوات وعوامل التقدم العلمي والتكنولوجي، ويحفل بصراع اقتصادي وهيمنة وتدخلات وسباق تسلح غير مسبوق.

أقول ذلك وأنا اتابع ما يجري في أكثر من دولة من دولنا العربية وحتى في بعض الدول المتاخمة لجغرافية منطقتنا العربية والخليجية، والتي إما أن تكون تورطت أو ورطت في العديد من الصراعات الداخلية والإقليمية والاضطرابات والحروب، حتى تقهقرت واستنزفت مواردها وخيراتها وقدراتها على لجم عوامل الانحدار والتراجع، وكان بعضها حتى سنوات قريبة خلت يحتل مواقع اقتصادية ويحظى باحترام دولي، وينظر لها باعتبارها مراكز اشعاع وتنوير حضاري وثقافي.

وعند البحث عن مسببات ذلك التراجع المريع نكتشف أنها قد فرطت في هيبتها واحترامها، وتنازلت راضية عن هويتها وسيادتها واستقلالها وسمحت بإهمال وتغييب أبسط مقومات صناعة القرار لديها عبر السماح باستشراء وهيمنة قوى الفساد، وتغلغل تأثير ما بات يعرف بالدولة العميقة، وتمكنها من قمع مجتمعاتها بأساليب وحيل متعددة وتلاعبت بالديمقراطية وحولتها لمسخ دون مضامين تمت لما بات يعرف بالحكم الرشيد، وتسببت تلقائيا في غياب الحريات وانعدام الأمن الحقيقي وتراجع الثقة في المستقبل وعدم قدرة مجتمعاتها على ادارة صراعاتها بحضارية أو على أسس من الديمقراطية وتحقيق العدالة الإنسانية، وتعاملت بفوقية وأساليب بآلية حيال صيانة عوامل التوازن المجتمعي، وساعدت على تحقيق الإنقسام المدمر لمجتمعاتها رغبة منها في إحكام السيطرة، ودون أن تسعى لوضع الحلول والمعالجات الوازنة لحركة المجتمع واستيعاب عوامل تطوره اللاحقة.

زينل يطالب وزارة الإسكان بنشر أسماء المستفيدين من الوحدات وسنوات طلاتهم

ما تعليق الوزارة على مشهد مواطنين، الأول نال وحدته والثاني ينتظر رغم أن طلب الأخير أقدم وبسنوات؟

طالب عضو كتلة «تقدّم» النائب يوسف زينل وزارة الإسكان بنشر أسماء المواطنين المستفيدين من الوحدات وسنوات طلباتهم، مع التأكيد على قيام الوزارة بإصلاح يطال المعايير المعتمدة، والاقتصار على الأقدمية لتحقيق العدالة بين جميع المواطنين.

جاء ذلك في تصريح أدلى به زينل بمناسبة يوم الإسكان العالمي، حيث قال إن هذا اليوم يمثل مناسبة لتقييم أداء وزارة الإسكان لحل وحلحلة أحد أهم الملفات البحرينية بما يمثله من أولوية لمئات ولعشرات الآلاف من الأسر البحرينية.

وأضاف زينل أن المشاريع المدن في الحد واللوزي والرملي وسترة حققت نقلة على صعيد تلبية طلبات قديمة تمتد لتسعينات القرن الماضي، لكن، وبالرغم من كل ذلك، فإنه لا بد من الإشارة إلى حاجة منهجية عمل الوزارة إلى مزيد من الإصلاح تحديداً في الجانب المتعلق بالمعايير المعتمدة للتوزيع والشفافية بشأن ذلك.

وعبر زينل عن استغرابه من الواقع الحالي والذي لا يخلو من تناقض، متسائلاً: ما تعليق الوزارة على مشهد يحوي مواطنين، الأول نال وحدته والثاني ينتظر، رغم أن طلب الأخير أقدم وبسنوات؟!

مطالبة بإنهاء معاناة 100 مواطن عاطل من خريجي كلية المعلمين

على صعيد آخر قال النائب يوسف زينل إن نحو 100 مواطن من خريجي كلية المعلمين أنهوا متطلبات التخرج من الكلية، لكنهم ظلوا دون توظيف بسبب إيقاف التوظيف في وزارة التربية نتيجة تداعيات أزمة كورونا، وامتداداتها على القطاع التعليمي في مملكة البحرين، داعياً الوزارة لإنهاء معاناتهم.

وأوضح أن ما آل إليه هؤلاء الخريجون شكّل صدمة لهم ومخالفة في الوقت ذاته إلى العقد المبرم بين الوزارة والطلبة والذي يلزمهم بالعمل في مهنة التدريس بعد التخرج، مقابل التزام الوزارة بتوظيفهم، وهو الأمر الذي لم يحصل.

ووضع زينل جملة اقتراحات لإنهاء هذه المعاناة، من بينها: توظيفهم بشكل استثنائي، أو صرف إعانة التعطل لهم بوصفهم عاطلين عن العمل، أو الترتيب لهم عبر صندوق العمل (تمكين)، أو العمل على إحلالهم محل أجانب يعملون في وزارة التربية، لافتاً إلى استمرار وجود الآلاف من الأجانب كموظفين في الوزارة في وقت يعاني فيه أبناء البلد من البطالة.

ورأى زينل واقعية خيار الإحلال، مستنداً في ذلك على توصيات لجنة التحقيق النيابية في البحرنة، وتوصية الشركة الاستشارية التي تعاقدت معها الوزارة لتحديد احتياجاتها من الكوادر التعليمية، والتي تركزت في 1800 معلم ومعلمة لتغطية الاحتياجات الفعلية للوزارة، غير أن البيانات الرسمية توضح توظيف نصف العدد فقط.

انتقدا ارتفاع أسعار حواسيب التعلم عن بعد

زينل وهاشم: الحكومة مطالبة بتوفير أجهزة حاسوب لذوي الدخل المحدود

انتقد عضو «تقدّم» النائب يوسف زينل حصر متطلبات التعليم عن بعد في توفير الحصص الافتراضية وتعميمها على كافة المراحل، وتجاهل انعدام أو ضعف قدرة شريحة من البيوت البحرينية على توفير المتطلب التقني والفني، ويقصد بذلك توفير أجهزة الحاسوب وباقات الانترنت.

وفي السياق نفسه قال عضو «تقدّم» النائب فلاح هاشم إنه وكما حصل في بداية جائحة كورونا، عندما تمّ استغلال الظرف آنذاك من قبل بعض التجار برفع أسعار الكمامات وأدوات التعقيم إلى أكثر من عشرة أضعاف أسعارها قبل الجائحة ووزارة التجارة كانت «صم بكم عمي» مغيبة دورها الرقابي على الاسواق، فإن المشهد يتكرر مرة أخرى هذه الأيام في ما يختص بأجهزة التعلم عن بُعد، في وقت تكون فيه حاجة المواطنين لهذه الأجهزة ملحة، هذا عدا عن صمت الوزارة عن تكاليف باقات الانترنت الباهضة المقدمة من شركات الاتصالات مقارنة بالدول الشقيقة.

وفي تصريحه تساءل زينل: كيف سيتمكن أبناء هذه الأسر من متابعة الدروس الافتراضية، إذا كان ولي الأمر فاقداً لدخله الشهري نتيجة تداعيات كورونا؟ وكيف سيتمكن الطلبة من ذوي الدخل المحدود من الإبقاء على شبكة الانترنت بالسرعة المطلوبة، وهي تشكو سلوك شركات الاتصالات الذي يغيب عنه حس التضامن المجتمعي؟!

وطالب زينل كل من وزارتي التربية والتجارة بالبحث عن الحلول الكفيلة بتوفير البيئة التعليمية المناسبة لجميع الطلبة، غنيهم وفقيرهم سواء بسواء وضمان عدم تضرر تحصيلهم الدراسي، مشدداً على ضرورة القيام بالتفتيش على محلات بيع الأجهزة الإلكترونية، والتأكد من عدم استغلالها لحاجة الناس برفع الأسعار.

في ذكرى هيئة الاتحاد الوطني

كيف صنع البحرينيون وحدتهم؟

د. حسن مدن

تمرّ خلال هذه الأيام ذكرى تأسيس هيئة الاتحاد الوطني، التي قادت النضال الوطني الديمقراطي في منتصف القرن العشرين، ففي الثالث عشر من أكتوبر عام ١٩٥٤ اجتمع ممثلو الشعب البحريني في مأتم ابن خميس بالسنابس واختاروا ١٢٠ مواطناً من مختلف الفئات والمناطق ليشكلوا الهيئة التنفيذية العليا، التي اختارت بدورها لجنة تنفيذية من ثمانية أشخاص هم عبدالعزيز الشملان، عبدالرحمن الباكر، السيد علي كمال الدين، محسن التاجر، ابراهيم بن موسى، عبدالله بوذيب، عبدعلي العليوات، وابراهيم فخرو.

وقد صاغت الهيئة مطالب الشعب البحريني، يومذاك، في بنودٍ رئيسية في مقدمتها: تأسيس مجلس تشريعي يمثل أهالي البلاد تمثيلاً صحيحاً عن طريق الانتخابات الحرة، وضع قانون عام للبلاد جنائي ومدني على يد لجنة من رجال القانون يتمشى مع حاجتها وتقاليدها على أن يعرض هذا القانون على المجلس التشريعي لإقراره، اصلاح المحاكم وتنظيمها وتعيين قضاة لها ذوي كفاءة يحملون شهادات جامعية في الحقوق، ويكونون قد مارسوا القضاء في ظل القوانين المعترف بها.

كما نصت المطالب على السماح بتأليف نقابات للعمال ونقابات لأصحاب المهن الحرة تعرض قوانينها ولوائحها على المجلس التشريعي لإقرارها، وتأسيس محكمة عليا للنقض والإبرام مهمتها أن تفصل في الخلافات التي تطرأ بين السلطتين التشريعية والتنفيذية أو أي خلاف يحدث بين الحكومة وأي فرد من أفراد الشعب.

لا تكمن القيمة التاريخية لحركة الهيئة في هذه المطالب الجوهرية فقط، والتي عكست توق شعب البحرين في التحرر من الهيمنة الاستعمارية، وتحقيق الديمقراطية والشراكة السياسية، وإطلاق الحريات العامة، بما فيها الحريات النقابية، وإنما أيضاً في كونها حركة وطنية شاملة، جامعة، غطت البحرين كلها، وفيها تمثلت كافة فئات الشعب ومكوناته.

وحين انقض المستعمرون على حركة الهيئة واضطهدوا قادتها إما بالسجن أو النفي، واصل جيل جديد من الوطنيين البحرينيين الذين تلقوا خبراتهم النضالية الأولى في حركة الهيئة، وكانوا يومها شباناً في مقتبل العمر حمل راية النضال الوطني، من خلال التنظيمات اليسارية والقومية.

في كل سنة تمرّ علينا هذه الذكرى يتعين علينا التأكيد على أن الفكرة الوطنية المُوحدة ليست ماضياً وتراثاً فحسب، إنها حاجة راهنة شديدة الإلحاح، بوجه كافة صور التصدع الطائفي والمقاربات التي ترمي لتصوير التناقض أو الصراع في المجتمع كما لو كان صراعاً بين الطوائف والمذاهب، لا بين المصالح الاجتماعية والسياسية المختلفة، التي من شأنها أن توحد المواطنين، سنة وشيعة، في المطالب والطموحات، على النحو الذي عرفناه في تجربة الهيئة وفي انتفاضة مارس عام1965، وفي النضالات العمالية والجماهيرية في السبعينات والثمانينات قبل أن تجتاحنا الغلواء الطائفية.

وكما قيل مراراً من قبل المخلصين، وما أكثرهم في هذا الوطن، أن الرد على هذه الغلواء الطائفية يمر عبر بناء صف وطني واسع يتجاوز التصنيفات المذهبية والطائفية، والتجربة الملموسة على مدار السنوات المنقضية تؤكد ان الوحدة الوطنية لن تنشأ إلا من خلال الروافع الجديرة بانجاز هذه المهمة، ونعني بها القوى الوطنية والديمقراطية غير طائفية التكوين، فما من تيار قادر على استنهاض المزاج الوطني المشترك سوى تيار الحركة الوطنية الديمقراطية بمعناه الواسع الذي يضم القوى والتنظيمات والشخصيات المؤمنة بأهدافه، وما الصدع الذي أصاب وحدتنا الوطنية إلا ناتج، في أحد جوانبه على الأقل، عن ضعف دور هذا التيار بسبب الصعوبات التي يعاني منها، والتي يعود جزء منها على الأقل إلى انحسار نفوذه بسبب عوامل موضوعية وذاتية معقدة لا يجوز ابتسارها في بعض الأحكام السريعة.

إن استعادة الخطاب الوطني الجامع ليست مهمة سهلة أو سريعة، لكنها مهمة ليست مستحيلة، ولتحقيقها فان جهوداً جبارة يجب أن تبذل من أجل إعادة بناء الوحدة الوطنية للمجتمع، ونظن انه هدف يمكن أن يستنهض قوى واسعة، فاعلة أو كامنة، في المجتمع، هي جديرة بأداء هذا الدور.

الاختبار الحقيقي لجدية أي خطاب تكمن في وطنيته، والمقصود بوطنية الخطاب مقدرته على التعبير عن المصالح المشتركة لجميع مكونات الشعب، ومقدرة أصحابه على مخاطبة هذه المكونات جميعاً، وتلمس مصالحها ومطالبها وتطلعاتها، وهذه ليست مهمة سهلة، لكن بدونها لن يخطو المجتمع إلى الأمام، إذا ما استمر دفعه نحو الاصطفافات المذهبية أو الطائفية التي أعادتنا وستعيدنا عقودا إلى الوراء وستصرف الأنظار عن مهام التحول الديمقراطي الحقيقي الذي ناضل شعب البحرين وضحى في سبيله.

لامناص لنا جميعاً من قبول البحرين كما هي، أي بكافة مكوناتها الاجتماعية والمذهبية والسياسية، ويخطئ من يعتقد أنه بالوسع عزل أو شطب أي مكون من هذه المكونات من خريطة البلد الاجتماعية، فالأمر لا يتصل بأفراد، وإنما بتكوينات تشكلت عبر سياق زمني ثقافي واجتماعي مديد، وبالتالي فإن كافة هذه المكونات مطالبة بأن توفر لنفسها ليس فقط شروط العيش المشترك، وإنما، أيضاً، التفاعل الخلاق بين بعضها بعضاً، وهو التفاعل الذي منه تشكلت الشخصية الوطنية البحرينية التي هي، إلى حدود بعيدة، نسيج ذاتها بالقياس لمحيطها القريب.

لا قيمة لأي منجز أو مكسب سياسي إذا كان ثمنه النيل من الوحدة الوطنية للمجتمع، لأن هذه الوحدة بنيت عبر مسار تاريخي معقد، وناضلت من أجلها أجيال من البحرينيين أفلحوا في إقامة تكوينات وطنية بالمعنى الصميم للكلمة، لا تعبر عن طوائف أو فئات، وإنما تعبر عن تطلعات مشتركة لكل أفراد الشعب، والأصح من هذا القول إن المكاسب السياسية المتعلقة بالإصلاح تستقيم بالتوافق والإرادة المشتركة لكافة مكونات المجتمع في سبيل المزيد من الشراكة بين الدولة والمجتمع، وأن الوحدة الوطنية تنبني وتتوطد عبر هذا النهج بالذات، لا عبر نهج آخر سواه، بإعادة الاعتبار لفكرة المواطنة المتكافئة التي تعمق وتعزز فكرة الانتماء لهذا الوطن، ولفكرة أن يكون فيه متسع للجميع بكافة الحقوق والواجبات.

بصراحة

قانون قيصر الجائر

في شهر مارس ٢٠٢٠ الماضي دخلت الأزمة السورية عامها العاشر، وهي الأزمة التي تحوّلت إلى واحدة من أسوأ الأزمات والحروب التي مرّت بها منطقة الشرق الأوسط، نتيجة تآمر القوى الإمبريالية والإرهابية بدعم من بعض البلدان العربية، ومن قوى إقليمية خاصة تركيا التي فتحت حدودها لتدفق المقاتلين الإرهابيين من مختلف البلدان والجنسيات، وأمّنت لهم التدريب العسكري والدعم اللوجستي.

فاضل الحليبي

وكان الهدف من كل هذا هو تدمير سوريا على شتَّى الأصعدة، وإدخال الشعب السوري في نفق مظلم لم يخرج منه حتى هذه اللحظة، لتزداد معاناته ومآسيه، والتي جاءت جائحة كورونا لتزيدها تفاقماً، حيث أضطر الآلاف من السوريين للهجرة، ومكابدة المخاطر للوصول إلى أماكن آمنة، فيما يعاني من بقي منهم في بلاده من تدمير بيوتهم ومدنهم وقراهم وبلداتهم، ويعيشون في أجواء البطالة والجوع وتردي الخدمات ودمار البنية التحتية.

بدأ الشعب السوري احتجاجاته وتظاهراته بمطالب محقَّة ومشروعة في الديمقراطية والعدالة الاجتماعية في مارس من عام 2011، ولكن استغلت بعض الأطراف العربية والغربية والأمريكية الوضع الناشئ آنذاك لتخلق حالة من الدمار والخراب، وحرف الاحتجاجات الشعبية عن مسارها السلمي والديمقراطي، وتحويلها إلى أعمال إرهابية، وهذا نهج القوى الإمبريالية في تدمير الدول المستقلة التي لا تروق لها ولا تنفذ سياساتها المعادية لتطلعات وآمال الشعوب، هي تدافع عن مصالحها وهذا مبدأها العتيد الثابت.

في الوقت الذي تجتاح بلدان العالم أجمع جائحة كورونا (كوفيد 19) وما خلَّفتْه من تداعيات جمَّة في المجالات والقطاعات الحيوية، كالصحة والتعليم، وأوجه الاقتصاد وأنشطته المختلفة من الصناعة والتجارة والمال والسياحة، وتزايد البطالة والفصل من العمل وغيرها، ما يتطلب تركيز الجهود الدولية لمواجهة هذا الفيروس الشرس الذي يصيب ويفتك بالإنسان أينما كان على الأرض، وتحتاج الشعوب والبلدان لتبادل الخبرات الصحية والعلمية من خلال المساعدة والدعم المتبادل فيما بينها، نجد تمادي الإمبريالية الأمريكية في ممارسة سياسة الترهيب والتهديد، عندما نفذت «قانون قيصر « ضد سوريا المنكوبة بالحرب والمحاصرة من مختلف الجهات.

وينص القانون الذي طرح منذ الأول من يونيو 2020، على "ملاحقة الأفراد والمجموعات التي تتعامل مع النظام السوري، بما في ذلك الذين يموِّلون النظام السوري، روسيا وإيران، سواء أكان هذا التمويل متعلقاً بأنشطتهم العسكرية أو جهود إعادة الإعمار أو انتهاكات حقوق الإنسان»، وفق ما صرح به المبعوث الأمريكي إلى سوريا جيمس جيفري .

وسبقت ذلك موافقة مجلسي النواب والشيوخ في الولايات المتحدة الأمريكية في 17 ديسمبر 2019 على هذا القانون الجائر، ثم وقع عليه الرئيس الأمريكي ترامب ليصبح قانوناً، وجرى تطبيقه على سوريا في السادس عشر من يونيو 2020 ليخنق شعبها ويزيد من معاناته، فلا يُراد له أن يتنفس الصعداء ليخرج من آثار الحرب ويعيد بناء وإعمار سوريا من جديد وإفساح المجال أمام المصالحة الوطنية بين السلطة والأطراف الوطنية السورية المعارضة .

إذا كان التعويل الأمريكي من وراء فرض هذا هو إضعاف النظام فيها، وربما إزالته، فإن هذا وهم، فخلف هذا النظام حليف استراتيجي قوي هو روسيا، لن يسمح بذلك مهما كلف الأمر، وسبق للمعارضة أن بسطت سيطرتها على ما يعادل ثلثي الأراضي السورية، لكن النظام ظلّ متشبثاً بالسلطة ولم يسقط. وبالتالي فإن التعويل على العقوبات الاقتصادية وسيلة لتحقيق هذه الغاية لن يؤدي إلى النتيجة المتوخاة.

وفي بلد يعيش الجزء الأكبر من أبنائه تحت خط الفقر، وفق الأمم المتحدة، ويتوالى ارتفاع أسعار المواد الغذائية فيه باطراد، فإن «قانون قيصر» وعوامل أخرى كثيرة، بينها تفشي وباء «كورونا» وانهيار الوضع في لبنان، والخلافات في قمة هرم السلطة العائلي زادت من تدهور الوضع الاقتصاد، وتراجع سعر الليرة أمام الدولار، وشهدنا مظاهرات في مناطق معروفة تقليدياً بعدم انخراط سكانها في الحرب ضد النظام، كما هي الحال في السويداء ذات الأغلبية الدرزية، احتجاجاً على ذلك.

بالمقابل، وجدنا مظاهرات أخرى في إدلب التي يسكنها نحو ثلاثة ملايين نسمة، تحتج على الأمر نفسه، لكن ليس ضد النظام وإنما ضد «هيئة تحرير الشام»، المهيمنة على المدينة فهي من يديرها ويحدد أسعار السلع فيها. واضطرت بعض المؤسسات هناك إلى إقفال أبوابها، بسبب ارتفاع سعر الصرف، وهو أمر لا يضير النظام، وربما يخدمه. ولا يختلف الأمر في القامشلي الواقعة تحت سيطرة الإدارة الذاتية الكردية، فهناك أيضاً أقفلت محال، وتراجعت حركة الشراء بشكل ملحوظ في أسواق تكتظ شوارعها ومحالها ومقاهيها بالزوّار.

إن الغاية من وراء إصدار وتفعيل هذا القانون هي إبقاء الوضع في سوريا غير مستقر، وإيقاف عملية إعادة الإعمار، ما يمكّن المهجرين والنازحين من العودة إلى مناطقهم، والعودة التدريجية للأوضاع إلى طبيعتها، وبالتالي فالمطلوب، أمريكياً، إرجاء الحل السياسي إلى ما لا نهاية، وهو أمر، وإن كان يزعج النظام، إلا أن المتضرر الأكبر منه هم المواطنون السوريون المطحونون بالحرب والفقر والمعاناة، والذين يريدون لبلدهم أن يخرج من محنته التي أنهكتهم وأنهكته، إضافة إلى ذلك فإن تطبيق هذا القانون الجائر يؤثر أيضاً على لبنان ويفاقم من وضعه المالي والاقتصادي ويعمق من أزمته الداخلية.

وفيما تعاقب الإمبريالية الإمريكية الشعبين السوري واللبناني وتفاقم من أوضاعهما الاقتصادية والمعيشية وتسبب لهما صعوبات عديدة، فإنها تغض النظر عن السياسة الإستيطانية للكيان الصهيوني في الضفة الغربية والقدس ونشاط المستوطنين الصهاينة المتصاعد، والذي ينال الدعم والتأييد من ترامب وإدارته، مما شجع الصهاينة على المضي في مخططاتهم الاستيطانية التوسعية.

إن مسؤوليتنا كشعوب عربية وكقوى تقدمية ووطنية هي الوقوف مع الشعبين السوري واللبناني في صمودهما وتصديهما للمخططات الأمريكية والصهيونية، ومؤازرة نضال الشعب الفلسطيني لدحر الاحتلال الصهيوني وإقامة الدولة الفلسطينية الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

(قف)

عشيّة الانتخابات الأمريكية

يبدو من الواضح حجم الدعم الأمريكي الكبير لإنجاز أكبر قدر من اتفاقيات السلام العربية – الإسرائيلية قبل انتخابات الرئاسة الأمريكية. فهل يأمل الرئيس الحالي ومرشح الحزب الديمقراطي دونالد ترامب أن تكون تلك الاتفاقيات إحدى أوراق اللعب للفوز بفترة ثانية في البيت الأبيض؟

فهد المضحكي

لا شك أن من بين أهداف ترامب من التسريع بالأمر هو استمالة قاعدة انتخابية مهمة تتمثل في المسيحيين الإنجيليين والتي قد تمثل ربع قاعدته التصويتية، وتعليقاً على ذلك يرى ادموند راتكله خبير شؤون الشرق الأوسط في مؤسسة كوفراد اديناور في برلين أن تلك القاعدة الانتخابية تهتم للغاية بمسألة الحفاظ على أمن اسرائيل وتعظيم الدور الأمريكي معها، وترى أن التوافق مع السياسات الإسرائيلية أمر مهم. وأن دفع إدارة ترامب لإنجاز تلك الاتفاقيات هو جزء من الإستراتيجية الكبيرة لإدارته، وهي دمج إسرائيل دون حل القضية الفلسطينية نفسها، وثانياً الحصول على دعم من الناخبين الإنجيليين الذين سيعجبهم للغاية ما يقوم به ترامب.

بحسب هذ الرأي، فإن فكرة ترامب وفريقه منذ البداية منع سلام إقليمي، والتي في الأساس فكرة قديمة كان نتنياهو يسعى لتنفيذها، بمعنى عقد صفقات مع دول المنطقة دون عقد صفقة منفصلة مع الفلسطينيين، لتصبح الاستراتيجية: السلام مقابل السلام بدلاً من الأرض مقابل السلام، وأن تلك الاستراتيجية هي جزء من استراتيجية «الشرق الأوسط الكبير».

لا تتفق وجهة النظر هذه مع محللين وسياسيين يرون أن هناك اوراقاً انتخابية قد تكون أشدّ أهمية وأخطر من اللعب بورقة اتفاقيات السلام العربية – الإسرائيلية، ومنها الفشل الذريع في إدارة ملف أزمة فيروس كورونا، الذي نتج عنه أعلى معدل وفيات في العالم لمصابين بالمرض.

كما أن الفشل في التعامل مع أزمة كورونا انعكس اقتصادياً على المجتمع الأمريكي، إذ تزايدت معدلات البطالة بشكل غير مسبوق، وزادت حالات الطرد من المنازل نتيجة عدم القدرة على سداد قيمة الرهن العقاري، وكلها أمور أشدّ أهمية لدى القطاع الأوسع من المجتمع الأمريكي من قدرة ترامب على انجاز اتفاقيات سلام بين إسرائيل ودول عربية، أو تصوير نفسه على أنه صانع سلام وصفقات سياسية تاريخية.

يُعتقد أن ترامب يحاول بشكل ما الحصول على جائزة نوبل للسلام برعايته تلك الاتفاقيات سواء نكاية في أوباما الذي فاز بالجائزة من قبل، او لتكون إحدى أوراق دعمه في الانتخابات الرئاسية التي ستجري بعد أيام.

يعتقد خبراء في الشأن الأمريكي أنه في حالة فوز بايدن بالرئاسة فلن يحوز ملف الاتفاق بين إسرائيل والدول العربية على جانب كبير من الاهتمام، خاصة مع غياب أشخاص من نوعية غاريد كوشنرصهر ترامب الذي يتحرك في الأمر من منطلق عقائدي بصورة أكبر مما تحركه المصالح السياسية للولايات المتحدة.

ويرى هؤلاء أن السبب يعود إلى أن جوبايدن نفسه شخص كاثوليكي، وأن الدائرة المحيطة به لا يوجد بها الكثيرون من المسيحيين الإنجيليين كالدائرة الحالية المحيطة بترامب، كما أن بايدن نفسه اظهر غير ذات مرة أن هذا الملف ليس على قائمة أولوياته.

حقيقة الأمر لا يمكن التقليل من حجم الاهتمام والرعاية الأمريكية بإسرائيل، حيث ستظل تل أبيب الحليف الأهم لواشنطن، ولذلك ستستمر الإدارة الامريكية الجديدة في التعاون بشكل كبير مع القيادة الإسرائيلية، لكن بمضي الوقت لن يكون لقضية السلام العربي – الإسرائيلي الأولوية لدى إدارة بايدن.

بالمقابل ثمة من يقول إذا فاز جو بايدن بالانتخابات الرئاسية، فإنه قد يعيد التوازن إلى التهج الأمريكي في التعامل مع ملف السلام العربي الإسرائيلي، وربما سيكون الأمر على نهج أوباما بشكل أو بآخر، كما سيعمل على اشراك الفلسطينيين في الحوار، وأخذهم على محمل الجدية بشكل أكبر، وقد يسعى إلى إشراك أطراف وشركاء دوليين آخرين بما في ذلك الأوروبيين، بعكس سياسية إدارة ترامب شديدة الأحادية، وبحسب الخبير راتكه فإن عهد التوافق بين إدارة ترامب وإدارة نتنياهو الذي رأيناه في العامين الماضين لن يستمر حال فوز بايدن بالرئاسة.

تتعدد الآراء والأقوال عن شخصية بايدن مرشح الحزب الديمقراطي الذي على صعيد السياسة الخارجية يعول عليه انجاز الكثير من الملفات من بينها القضية الفلسطينية، ومع ذلك سيظل بايدن بعيداً عن الحياد لأنه لا يختلف عن ترامب بل أكثر ميلاً من ترامب لجهة حماية الكيان الصهيوني ولو بطريقة ناعمة، وهو ما يذكرنا بتصريح له عندما كان نائباً للرئيس الأمريكي أوباما وفي زيارة له إلى تل أبيب يقول فيه: "إذا كنت يهودياً سأكون صهيونياً".

جوبايدن او دونالد ترامب؟ لا فرق! طالما الصفة هي رئيس الولايات المتحدة الامريكية، وذلك لسبب بسيط ومهم، في الآن نفسه، هو أن السياسيات العدوانية تجاه منطقتنا وتجاه كل دول العالم المعادية للخط الأمريكي هي واحدة لا تتغير، وما سيتغير هو الطريقة والأسلوب تبعاً للمصالح، حسب وجهة نظر كل منهما، أي ترامب وبايدن، فكلاهما وجهان لعملة واحدة، وهي عملة التحكم والمحافظة على المصالح والمكانة الأمريكية وفقاً لمبدأ "أمريكا أولاً".

الاعتذار من الماضي الاستعماري

رضي السمّاك

«زمن الاعتذار .. مواجهة الماضي الاستعماري بشجاعة» عنوان الكتاب الذي صدر العام الماضي ٢٠١٩ عن الهيئة العامة المصرية للكتاب، وساهم في تحريره أربعة باحثين هم كل من: مارك جيبني، جين كوايكود، رودا. هوارد – هاسمان، نيكلاوس شتاينر، وهو من ترجمة كل من: عاطف معتمد، عمر عبد الفتاح، عزت زيان، نادية عبد الفتاح.

ولئن تناول الكتاب ما تعرض له العراق من غزو أمريكي 2003 ارتكب خلاله جرائم بشعة بحق شعبه؛ فإنه للأسف لم يتناول قضايا العالم العربي الاستعمارية القديمة والحديثة نسبياً؛ ومنها القضية الفلسطينية، وخطورة ما خلفه الانتداب البريطاني على فلسطين؛ وبدعم غربي للضيف الجديد على عالمنا العربي»إسرائيل» والتي وعدتها بريطانيا (استناداً لصك وزير خارجيتها بلفور 1917) بتسليمها التركة وأوفت بوعدها، وأضحت هذه القضية منذئذ مصدر زعزعة وعدم استقرار أمن المنطقة العربية برمتها ما أفضى إلى عرقلة تطور نمو دولها المستقل اقتصادياً وسياسيا.

كما يكتسب الكتاب أهميته في ضوء الأحداث التي وقعت في الولايات المتحدة ربيع العام الجاري إثر مقتل المواطن الأمريكي من أصل أفريقي جورج فلويد الذي لفظ أنفاسه خنقاً تحت ركبة رجل شرطي أبيض في الشارع أمام الملأ لمدة تقرب من عشر دقائق في مدينة مينيا بوليس بولاية مينيسوتا، وهو الحادث الذي فجر بدوره سلسلة من الاحتجاجات الكبيرة أمتدت إلى معظم الولايات الاخرى؛ كما أمتدت إلى البلدان الغربية حيث لا تخلو من دلالات أعمال تحطيم تماثيل رموز التفرقة العنصرية وتجار الرق والاستعمار ليس في الولايات المتحدة فحسب؛ بل وفي استراليا وعدد من الدول الأوروبية وبخاصة بريطانيا، وهؤلاء لم يرحلوا دون اعتذار في الحقبة التي يتناولها الكتاب جراء ما أقترفتهم أيديهم بحق الإنسانية والشعوب المستعمرة فحسب، بل المدهش بأنهم كُرموا بتماثيل تخلدهم في بلدانهم وهو عار مضاعف، وجرى التنديد الرسمي بتكسيرها وتوعد الفاعلين.

والكتاب الذي بين أيدينا يقع في عشرين فصلاً، وقد جاءت عناوينه كالتالي على التوالي: الاعتذار من منظور القانون الدولي (للباحث ريتشارد بيلدر)، الاعتذار والعدالة والاحترام (للباحث جانا توسمون)، المظلومية التاريخية والنظرية السياسية الليبرالية (للباحث مايكل فريمان)، الاعتذار .. تحليل عبر الثقافات (أليسون دنس رينتان)، خارطة طريق لسياسات الاعتذار (للباحثين: جين مارك كوايكود وجين مارك)، عند ما يكون الأسف كافياً – إمكانية الاعتذار عن الرق في نطاق محلي (إليانور برايت)، الجامعة والعبيد – الاعتذار ومعناه (ألفريد بروفي)، دور الاعتذار في المصالحات الوطنية : نحو مؤسسات جديرة بالثقة (بابلو دي جريف)، الصراع مع الماضي – الاعتذار وشبه الاعتذار وعدم الاعتذار في كندا (مات جيمس)، الاعتذار والمصالحة في اتفاقية وايتانجي لعملية التسوية في نيوزلندا – اعتذار الدولة في ظل الهيمنة الامريكية (مريديث جيمس)، اعتذار الدولة في ظل الهيمنة الامريكية (كارلوس أ . باورودي)، «أنقذنا من الخطيئة الأولى» – اعتذارات بلجيكا لرواندا والكونغو بول كيرنتس)، ألمانيا تواجه تاريخها الاستعماري في ناميبيا – الأسف يعتريه غموض شديد (ليونارد جامفا)، كلمات تنتظر اجراءات رأي النخبة الافريقية في اعتذارت الغرب (ليونارد جامفا)، الاستعمار والاستعباد وتجارة الرق – رؤية هولندية (بيتر بير)، هل تواجه اليابان ماضيها؟ حالة اليابان مع جيرانها (اليزابيث س. دال)، اعتذارات الفاتيكان .. تجربة البابا يوحنا بولس الثاني (مايكل ر . ماروس)، إعادة النظر في اعتذارات الشركات – المال والاحتيال القائم على نظام الفصل العنصري (بوني ابيهاوه)،الاعتذار والحرب على الإرهاب (للباحثين: مارك جيني ونيكلاوس شتاينر)، السلطة الرابعة وحالة الحرب على العراق – اعتذار أم دفاع عن الموقف (جوناثان هـ . ماركس).

وسنقتصر هنا على تناول بعض الفصول العشرين المهمة التي تتناول شروط الاعتذار ووضع معاييره الفعلية على مشرحة تحليل الباحثين كل حسب تخصصه في الجانب الذي اختاره، والعلاقة بين الجاني والضحية قبل وأثناء زمن الاعتذار.

وحتى اليوم مازال عدد الدول التي قدمت «اعتذاراً» عن ماضيها الاستعماري محدودا ويشوبه الالتباس؛ فلم تقدمه كوثيقة رسمية بلا غموض بحيث يترتب عليها – كما يفترض – في القانون الدولي التزامات بتعويضات مالية لحجم الأضرار الاقتصادية والنفسية جراء ذلك الاستعمار الطويل والنهب المنهجي لثروات شعوبها ومصادرة سيادتها وشخصيتها الاعتبارية وغيرها ما عرقل تنميتها المستقلة.

وهنا فإن بعض أبحاث هذا الكتاب عنيت بأن تناقش مدى قيمة تلك الاعتذارات اللفظية الخاوية المضمون عن المساءلة القانونية الفعلية، أو نوع الاعتذارات التي لا يترتب عليها إلزام الدولة الاستعمارية الفالتة من العقاب جبر ضرر الدولة المتضررة، سواء أكانوا من مواطنيها، كالاميركيين السود في الولايات المتحدة وغيرها، أو شعوب البلدان الأخرى.

وفي رأينا فإن من بعض تلك الجروح النفسية الخطيرة الغائرة التي تركها المستعمر بلا حل ؛ التقسيمات والتسويات الطائفية بين مكونتها والتي كان لها دور – كما يشهد مؤرخو الغرب المحايدون – في تأجيجها وفق مبدأ «فرق تسد»: عرب وأمازيغ، مسلمون وأقباط، مسلمون بمختلف طوائفهم في مواجهة مسيحيين بشتى طوائفهم (لبنان نموذجاً)، سنة وشيعة إلخ . وترتب عليها بعد الاستقلال تقاليد وأعراف لم تجتث من جذورها ويصعب محوها بلا رجعة، بل لطالما عانت منها وما برحت تعاني منها معظم بلداننا العربية تبعاً للمستفيدين في الداخل والخارج من فتح تلك الجروح القديمة أو النائمة والتي لا تكاد تلتئم حتى يُعاد فتحها من جديد.

في الفصل الأول اتخذ الباحث بيلدر ما خلصت إليه «لجنة القانون الدولي» حول مسؤولية الدول كأساس لمرجعيته في دراسته. وفي الفصل الرابع أستعرض الباحث أليسون رنتلين الطرق المختلفة التي يمكن بها الاعتذار، وكذلك السُبل المختلفة لتفسير الاعتذارات لدى الضحايا؛ ففي بعض ثقافات الشعوب يكفي مجرد الاعتراف بالخطأ كاعتذار رسمي، أو بما يحفظ ماء وجهه. وفي ثقافات اخرى فإن الاعتذار «الكلامي» دون تعويضات ليس له قيمة.

وفي الفصل الخامس تناول الباحثان مشكلة السعي إلى الغفران لما لا يمكن غفرانه . وفي الفصلان السادس والسابع عالج فيلمنج وبروفي مسألة مدى حق المواطنين من أصل إفريقي المطالبة باعتذارات عن جرائم ارتكبت بحقهم وحق أجدادهم في الماضي.

أما الفصلان الثاني الذي جاء تحت عنوان «الاعتذار والعدالة والاحترام" والعاشر الذي جاء تحت «الاعتذار والمصالحة» فقد قام الباحثان جانا توسمون ومرديث جيبس بدراسة وتحليل الجرائم التي اقترفها المستوطنون البيض الغزاة في أستراليا ونيوزلندا بحق السكان الأصليين.

وإذ أتخذ الأول من أستراليا نموذجاً لبحث المطالب الفلسفية للاعتذار السياسي الحقيقي، فإن الثاني سلط الضوء على محاولة الملكة إليزابيث الثانية ورئيس نيوزلندا للاعتذار للشعب الماوري، واتخذ من هذه المحاولة – رغم قصورها – نموذجا يمكن الاحتذاء به في الدول الغربية في كيفية التعامل الإنساني مع المهاجرين واللاجئين الذين وفدوا من تلك البلدان التي استعمرتها تلك الدول.

وهذه قضية في نظرنا ما فتئت تتفاعل وتكتسب أهميتها في ضوء الأعمال الإرهابية التي مازالت تشهدها أوروبا منذ مطلع العقد الجاري، وزحف اللاجئين الفارين من مناطق الحروب والتوتر الإقليمية وانعكاسها على تعقيد مسألة الاندماج. وفي وقت كانت فيه أغلب الدول الغربية حذرة ومترددة تجاه دمج الوافدين من بلدان مستعمراتها السابقة منذ أواخر الثمانينيات؛ فإن كندا تبنت سياسة رسمية للتعددية الثقافية منذ 1988. وأخيراً فإن الفصل الحادي عشر يتناول فيه كارلوس بارودي مسألة القصور في «لجان الحقيقة» في أمريكا اللاتينية تجاه فظائع أنظمة الانقلابات العسكرية خلال النصف الثاني من القرن العشرين باعتبارها تتم بمعزل عن مسؤولية الولايات المتحدة القانونية لتورطها في التخطيط لتلك الانقلابات ودعمها؛ وهي مسألة لا تبعد عنها تورطها نفسها في دعم دول افريقية وشرق أوسطية ومن بينها إسرائيل.

جلال إبراهيم

أشياء لا تشترى

الثقافة بوصفها سياسة

هناك من يعزف على لحن التطبيع الثقافي وأهمية التواصل مع المثقفين والمفكرين والفنانين الإسرائيليين من أجل التعرف على الآخر وخلق جسور تواصل بعيدا عن الجانب السياسي والعسكري تؤدي إلى تحقيق السلام، متجاهلاً جرائم العدو الإسرائيلي الغاصب لأراضي فلسطين والموغل في جرائمه اليومية في حق الشعب الفلسطيني المناضل والمدافع عن أرضه ومقدساته وعزته وكرامته.

مسلسل التطبيع الثقافي مع الإسرائيليين ليس بالجديد، من أشهرهم في هذا السياق، الكاتب المسرحي المصري علي سالم الذي انطلق بسيارته في 7 إبريل 1994 من العريش إلى رفح وصولاً إلى فلسطين المحتلة (إسرائيل). ونشر مقالاً فى مجلة «الشباب المصرية» بعنوان «السلام الآن» قال فيه إن الاتفاق بين الفلسطينيين والإسرائيليين يشكل لحظة نادرة فى التاريخ، إنها لحظة اعتراف الأنا بالآخر، أى أنا موجود وأنت أيضا موجود، الحياة من حقي ومن حقك الحياة. وقد قوبلت زيارته ردود فعل متباينة في صفوف المثقفين المصريين تجاه مسألة التطبيع الثقافي مع إسرائيل واستنكار واسع ومقاطعة له في مصر وأغلب الأقطار العربية.

يطرح بعض المثقفين العرب الأسئلة التالية: "لماذا لا يمكن أن نحارب إسرائيل ونسالم، في الوقت نفسه، الفن والأدب اللذين يُنتجهما كبار الأدباء والفنانين اليهود، خارج إسرائيل وداخلها؟

ألا يمكن أن نكون في حرب مع بريطانيا، مثلا، وأن نكون في الوقت نفسه، في سلام مع شكسبير؟ ألا يمكن أن نعادي ألمانيا، أو فرنسا، أو إيطاليا، ونظل في الوقت نفسه أصدقاء لبتهوفن وغوتة، لديكارت وروسو، لدانتي وليوناردو دافنشي؟ نعرف جميعا أن الإسلام حارب في بداياته اليهود، دون أن يقاطع الفكر اليهودي أو الثقافة اليهودية، وحارب الروم، في ما بعد، والفرس، دون أن يقاطع الثقافة البيزنطية أو اليونانية أو الفارسية".

هذه الأسئلة تُنسب إلى الشاعر والمفكر السوري أدونيس، كما يذكر د. جوزف لبر ، الأستاذ في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية. لكن الأخير لم يحدد مصدر اقتباسه لنص أدونيس. وبالمناسبة هذه الأسئلة تم طرحها على طلاب الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها للعام الدراسي 2019-2020 *

يحضرني قول كافكا : «الأدب يعني أن تهجر معسكر القتلة»، فكيف يسمح بعض المثقفين العرب لأنفسهم بالتواصل عبر الندوات والمؤتمرات والأنشطة الثقافية المختلفة مع الفنانين والأدباء المنتمين للكيان الصهيوني؟ أليس جميعهم إلا ما ندر يدعم دولته إسرائيل وسياساتها المؤكدة على قتل الفلسطينيين وسلب حقوقهم ومعاداة العرب. ثم كيف يتم الدمج والمماثلة بين اليهود والصهيونية، فاليهودية دين سماوي، لكن الصهيونية فكرة عنصرية استيطانية قائمة على انتزاع أرض من شعبها وطرده منها.

أما القول بإمكانية أن نكون في حالة حرب مع بريطانيا أو ألمانيا أو فرنسا، ونكون في حالة سلام وتواصل مع شكسبير، غوتة، ديكارت، فلا يمكن المقارنة هنا بين حركة الدول الاستعمارية التي قامت في سياق تاريخي محدد له شكله وعوامله ونتائجه، والتي أثمرت تضحيات ونضالات شعوبنا في دحره ونيل الاستقلال، وبين الكيان الصهيوني الذي هو مولود حرام نتج عن سياسات دول أوربية كبرى تحالفت مع الحركة الصهيونية في إقامة وطن قومي لليهود على أراضي فلسطين. لذلك لا يمكن المماثلة بين الشعب البريطاني أو الشعب الفرنسي اللذان لهما بعد تاريخي وثقافي وحضاري، وبين «شعب» مختلق لا يتجاوز وجوده السبعين عاما، تكوّن من عصابات مارست القتل والتنكيل بشعب فلسطين الذي وجوده يعود إلى آلاف السنين. من جانب آخر إذا وجد مثقف أو فنان أو كاتب إسرائيلي يعارض احتلال دولته لفلسطين ويدافع عن حق الشعب الفلسطيني وما يتعرض له من ظلم وقمع وقتل، عندها لا مانع من نشر تصريحاته وكتاباته والتأكيد على صحتها.

أما الحديث عن الدولة الإسلامية (ومحاربتها لليهود وعدم مقاطعتها للفكر أو الثقافة اليهودية) ففي ذلك خلط فاضح للهدف الخطير من هذا الطرح. لأن المقارنة هنا باطلة بين يهود شبة الجزيرة العربية، ومنهم يهود المدينة الذين اعتبرهم الرسول(ص) والمسلمين مواطنين داخل الدولة الإسلامية كما نصت على ذلك صحيفة المدينة، ولكن بعد غدرهم بالمسلمين وتحالفهم مع قريش تمّ طرد يهود بني النضير وبني القينقاع ويهود خيبر من المدينة والجزيرة العربية. بينما يهود دولة إسرائيل ينتمون إلى كيان غاصب ومحتل لبلد آخر ومعادي للأمة العربية بالكامل. فأي حديث يصح هنا عن تواصل ثقافي وفكري كما يروج له مجموعة من الكتاب العرب المشبوهين في عملهم والمطعون في شخصياتهم.

كذلك في الحديث عن حرب المسلمين مع الفرس والروم، وعدم حصول المقاطعة الثقافية مع هاتين الإمبراطوريتين، من يطرح مثل هذه الفكرة هو لا يرى أو يغض النظر عن قانون تاريخي في الصراع والحروب بين الدول أو الإمبراطوريات الكبرى في مختلف العصور، وهو بديهية التواصل السياسي والاقتصادي والثقافي بمختلف الأساليب فيما بينها، سواء في أوقات الحرب أو السلم. بينما دولة الكيان الصهيوني ليست أمة ولا حضارة ليتم التواصل معها ثقافيا، بل يفرض وجودها بالضرورة حالة حرب دائمة لا تنتهي إلا بزوالها.

وقد نجح القادة العرب عام 1967 في قمة الخرطوم بتسجيل ثلاثة لاءات نظيفة في سجل البطولة والرجولة (لا صلح ولا اعتراف ولا تفاوض) مع العدو الصهيوني قبل أن يعود الحق لأصحابه، وأنتجت فكرة أن كل من يفكر أو يسعى للخروج عن (لا صلح، لا اعتراف، لا تفاوض) فهو باعتراف الجميع (خائن)، وقد لاقت هذه اللاءات إعجاب واستحسان الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج، فصفقت لها لأنها منسجمة مع مزاجها تجاه عدوها الأول والأبدي.

واستمر هذا المزاج حتى وصل بنا قطار التاريخ إلى محطة (كامب ديفيد) حيث اتفاقية السلام بين إسرائيل ومصر التي سعت إلى تغيير المزاج العربي من (لا صلح، لا اعتراف، لا تفاوض) إلى فكرة أن إسرائيل جارة وصديقة ويجب أن نعيش معها بسلام وأمان حتى نقي الأجيال اللاحقة من حرارة الحروب. وقد عبر عن الرفض وعدم الصلح الشاعر أمل دنقل فى قصيدته «لا تصالح»؟: لا تصالح/ ولو منحوك الذهب/ أترى حين أفقأ عينيك/ ثم أثبت جوهرتين مكانهما/ هل ترى ؟/ هي أشياء لا تشترى.

لا يمكن فصل الثقافة عن السياسة، الفعل الثقافي كالذي يطالبنا به هذا البعض، هو في جوهره فعل سياسي غايته تسويغ نهج سياسي بعينه، كي يبدو مقبولاً ومستساغاً، وبهذا فإن هذا النوع من "الثقافة" المزعومة قد يكون أشدّ خطورة من الفعل السياسي المباشر.

عن مسافة الأمان في حياتنا

يتردد مصطلح مسافة الأمان كثيرا في حياتنا هذه الأيام، وذلك على خلفية جائحة كورونا، وضرورة التقيّد بالتباعد الجسدي اتقاء لوباء سريع الانتشار. رحم اللّه امي التي لم تصدق مرض كورونا ولم تقبل به، ولم تعترف بمسافة الأمان الضرورية التي اعتمدناها في التعاطي معها منذ بداية الجائحة، بل كانت ترى الأمان الجسدي والإنساني العاطفي في قربنا منها وفي تحلقنا حولها وفي قبلاتنا واحتضاننا وملامستنا لها، وتجد في هذا التلاحم والتلاصق بلسماً ودواءاً يعين على مواجهة ألم الشيخوخة ومرارة العزلة وقسوة الضجر.

عصمت الموسوي

مسافة الأمان الضرورية للسلامة وحماية الناس كانت غائبة في مرفأ بيروت عندما جرى تخزين مواد شديدة الخطورة وقابلة للاشتعال، وتمّ تأجيل البت في أمرها قانونياً وسياسياً وقضائياً حتى انفجرت وأودت إلى كارثة كبرى.

بعد الانفجار طرح التساؤل في كل مكان: كم هو مقدار الأمان الذي يتوفر في منشآتنا الحيوية والخدمية التي تستخدم الأدوات والأجهزة والمواد الخطرة ؟ وهل نحن محصنون من انفجارات مماثلة ؟

لكن قبل أن نستطرد دعونا نتساءل: ألسنا نتعاطى يوميا مع مسافات الأمان المادية والمعنوية والصحية والسياسية والاجتماعية في حياتنا وعلاقاتنا ومعاملاتنا؟ ألا تتضمن العقود التي نوقع عليها في شؤون معاشنا العديد من مسافات الأمان التي يجدر بنا معرفتها جيداً، إذ عبرها يتحدد دورنا ومسؤوليتنا وحقوقنا، في قبال مسؤولية الآخرين، كي نعرف لاحقا من نساءل ومن نلوم ومن نقاضي إذا انفجر الجهاز أو تصدعت المؤسسة التجارية أو انفرط عقد الشراكة السياسية ؟

ولعلنا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن مسافة الأمان السياسية الغائبة في العالم العربي هي التي قادت إلى الاضطرابات والانفجارات السياسية عام 2001 . منح الحكام لأنفسهم كل الأمان وكل وسائل الحماية وباعدوا بينهم وبين شعوبهم التي لم يترك لها أي وسيلة للتنفيس وللحركة والتعبير أو الاحتجاج ضمن مسافة الأمان المعتادة والطبيعية بين الراعي والرعية. في كل المجتمعات الديموقراطية الحرة المتحضرة، تصنف الدول العربية ومنذ سنوات في اسفل قوائم حقوق الانسان والحريات الصحفية والسياسية وحرية الانترنت وحرية التغريد .

على أن هناك مسافات امان أخرى، مرئية وواضحة أحيانا أو متوارية أحيانا أخرى، أو ربما معروفة بداهة أو عرفاً، بيد أنها تبرز عند المحك، وأولها العلاقة مع النفس، ثم مع الآخر، القريب والبعيد، الشريك والزوج، رب العمل، الخادم، الأجير، الطبيب. إن رسم طريق الأمان لا يتأتى دون الوعي والإدراك بكل التزامات المرء وحقوقه في مقابل حقوق الآخر.

وحين نأتمن قائداً أو رئيساً أو شريكاً على مصالحنا وأموالنا ومستقبلنا، فإننا نكتب العقود الموثقة ونحدد مالنا وما علينا ضمن مسافات الأمان التي تحمي حق كل طرف.

وفي العلاقات الزوجية والاجتماعية والتجارية على اختلافها، تنشأ المشكلات حين يفتح أحدهم ثغرة في مساحة الثقة والأمان متوسلا الخديعة والتلاعب، ونحن نقول في امثالنا "أعطيناه الخد فتطاول الشفاه»، «اذا رأيت صديقك حلوا فلا تأكله كله»، وكلها أمثال تشي بانتهاك مساحات الأمان المسموح بها.

ويتعامل الكاتب والصحفي بوصفه ضمير الأمة كل يوم مع مسافة الأمان هذه للإبقاء على راسه حراً وقلمه مستقلاً.

وليس هناك أوضح من تلك المسافة المرورية الآمنة التي نعرفها جميعا ونحن نقود سياراتنا، وحيث تشير علامات الطريق إلى الحدود والضوابط، وتقع أغلب الحوادث القاتلة والمميتة حين نتخطى مسافاتنا أو سرعتنا تهوراً أو استهتاراً أو سهواً أو انشغالاً بهواتفنا المحمولة.

الشفافية والوضوح والصدق والمصارحة والرضا عناصر مهمة في كل العقود والمواثيق الضامنة للأمان المادي والمعنوي لكل الأطراف المشاركة فيه، وذلك منعاً للتجاوز وتجنباً للكوارث الراهنة اوالقادمة.

على أن مسافة الأمان ليست ثابتة بل متحركة ومتغيّرة ومتحوّلة، وفقا لتصاريف الزمن ومعطياته وقوانينه، فلكل عصر ثوابته وحدوده التي يُعدّ الالتزام بها علامة على وعي المجتمع ورقيه وتحضره.

لكن هذه المسافات تظل موجودة وفاعلة ومؤثرة دوماً، خصوصاً إذا حظيت بالاتفاق والإجماع والقبول من كل الأطراف، واسوأ الأمم والشعوب تلك التي تلكأت أو أجلت وضع المسافات الآمنة في كل مفاصل دساتيرها وعقودها وقوانينها وعلاقاتها بغيرها.

الحب: أبجدية أبجديات الإنسانية

يقول دويستوفسكي في رواية (الزوج الأبدي): «الأفكار العظيمة هي إلى حد ما ثمرة قلب كبير وليست نتيجة ذكاء كبير". لقد تقدمت الإنسانية كثيرا في مجال العلوم والمعرفة، لكنها من دون المحبة والقلب العطوف إلى أين أخذتنا؟ الحرب، القتل، والكراهية! لذا فإن أكثر ما يحتاج إليه البشر اليوم هو غرس مشاعر المحبة التي تبني جسور العلاقات بينهم. وإن العقل وحده لا يكفي لذلك لمحدوديته، فكانت الأفكار دائما ما تضع البشر في عقد منغلق.

أحمد السعيد

حين سألوا ألبير كامو إذا ما أراد تأليف كتاب عن الأخلاق فماذا سيكتب. قال: "لجعلته من مائة صفحة، تسعة وتسعون منها بيضاء وفي الأخيرة سأكتب: لا أعرف سوى واجب واحد، ألا وهو الحب". فإن عاطفة المحبة هي التي تقف وراء كل عمل أخلاقي. كل عمل أخلاقي ينشأ من الرغبة في حفظ النوع، ونحن نسعى لحفظ حياة من نحب، وكلما أحببنا أكثر كلما اتسعت دائرتنا الأخلاقية، كلما وقفنا ضد الحرب، والكراهيات العرقية والدينية، وإذا اتسعت هذه الدائرة قد تشمل حب الحيوانات، وسنفكر ليس فقط في حفظ النوع البشري، وإنما في مفاهيم أخلاقية لحفظ الحياة بشكل عام، وقد ننخرط في النشاط البيئي وكيفية الحفاظ على الحياة الفطرية وما على الأرض من خيرات.

اليوم أحدثكم عن أهم أبجدية في أبجديات الإنسانية والتي تقوم عليها الأخلاق، واعتقد أن كل فعل بشري محمود قام على هذه الأبجدية، وهي: "عاطفة الحب". ليس الحب المقترن بالعشق بين الرجل والمرأة، وإنما المحبة التي تتسع وتشمل كل شيء.

قالوا: "إن من يحب الله يحب خلقه". لا يمكن أن تحب الله ولا تحب خلقه. وكنت أتساءل كيف يمكن أن يصدر هذا العالم المتعدد الثقافات والأديان واللغات والأعراق من خالق واحد؟ وكيف للواحد أن يضم هذه الكثرة؟

لم أجد إجابة لفترة طويلة، فإن كل مِلّة اعتنقت في الله صورة ما إن رأت خلافها أنكرته، وكانت أبجديات الكراهية تطغى على أبجديات الإنسانية حين يتحدث الإنسان عن الله. وأخيرا وجدت جوابا عند الفيلسوف الصوفي ابن عربي الذي أقام نظريته على فكرة الحب وتعدد الواحد، فإن الله خلق العالم محبة ورحمة بالخلق حين أوجدهم، وهم لمحبتهم إليه يطلبون العودة إلى أصلهم فلا يبقون هنا، وبين الإيجاد والعودة، على الإنسان أن يكون خليفة الله في أرضه بمحبة الناس ورحمتهم.

فالعالم مثل شجرة وما فيها من أغصان متفرعة وثمار شتى تتصل بجذر هذه الشجرة من غير أن يكون الجذر هو الأغصان ومن غير أن تكون الأغصان هي الجذر، لكن هذا الكل من أغصان وجذع وثمار وجذر يمثل الشجرة. وهذه هي نظرية وحدة الوجود، أي تعدد الأغصان في الواحد الذي يحضر في كل شيء في الطبيعة كحضور العدد واحد في كل الأعداد بنسبة وهذه النسبة هي التي تجعل العدد مختلفاً، الأعداد لا تستغني عن الواحد لكن الواحد مستغنٍ عن الأعداد إلا أن الوجود يكتمل بها ويتمايز.

هذه الوحدة هي نفسها التي دعا لها القرآن حين قال: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا" أي يا قبائل العرب، يا من اغرقتكم التفرقة فيما بينكم باسم اوثانكم، وأصبح كل واحد منكم راضيا بثمرته ويتصارع عليها تعالوا نتحد ونعتصم بحبل الله، تعالوا ننظر كيف أننا كلنا شجرة واحدة لا تبنى على الكراهية والانغلاق، بل تبنى على اتصال كل اجزائها وتعاونها فيما بينها لتُخرج ثمار العالم من بارئها. لكننا بعد نبينا عدنا نتفرق باسم الله تفرق الجاهلية ونبني أوثاننا وينغلق كل منا على ثمرته. كان النبي شجرة حب في مواجهة ثمار الكراهية. لذلك لم يهدم المسلمون الأوثان التي وجدوها في العراق ومصر وبلاد فارس التي كانت تمثل اختلاف الأديان والثقافات وتنوعها في شجرة الوجود الإلهية، بينما حطم النبي أصنام مكة التي كانت تفرق بين الناس على أساس طبقتهم الاجتماعية ووجودهم القبلي والعشائري.

كل محبوب جميل ولكن ليس كل جميل محبوب، كل محبوب هو ما كان فاضلا وخلوقا وايجابيا أنت تراه جميلاً لهذه المفاهيم المعنوية، لكن الجميل الذي يدعوك للمستنقع، للدمار والكره، يصبح قبيحا مع الأيام وتحاول الانفكاك منه. مثل ان تنبهر بفتاة حسناء ولكن شيئا فشيئا مع الأيام يذهب بريق جمالها لقبح ما تحمل من المعاني والمفاهيم والسلوك المتدني. لذلك فالمحبة هي التي تقودك لرؤية الجمال، وليس الجمال هو الذي يقودك للمحبة، ولا يغرّنك ما يراه الناس جميلا، ولكن انظر بعين قلبك هل ترى فيه شيئا جميلا؟ هذا ما قاله تشي غيفارا: "إذا فرضت على الإنسان ظروف لا إنسانية ولم يتمرد فإنه سيفقد إنسانيته شيئا فشيئا».

إننا نقيم علاقاتنا اليومية ليس على الرابط الفكري، فقد يقرّب الرابط الفكري بين شخص وشخص أو بين جماعة وجماعة تتناسب في مفاهيمها، لكن هذا الرابط لا يعول عليه بين المختلفين، وإن الرابط القلبي هو ما يقوي علاقاتنا بمن هم حولنا، فقد يشترك معك أحدهم في فكرة ولكن يختلف معك في المشاعر، وقد يختلف معك أحد في الأفكار ولكنه قريب منك بمشاعره وقلبه، إن علاقتك بالثاني تكون أقرب من الأول. لذا قيل في الإنجيل: "الله محبة". الله محبة وليس فكرة من الأفكار لأن المحبة هي ما تجعل الإله إلها يضم الكثرة والإنسان إنساناً يشفق على المساكين وعلى الأرواح من الكائنات التي أدنى منه في مرتبة العقل.

جدل حول الأزمة الوجودية التي يعيشها العالم

الموت وما بعد يحاصران العالم (٢-٣)

عبدالله السعداوي

الثورة الروسية نفسها كانت ثلاث ثورات في وقت واحد، فهي ثورة فلاحية ضد أشكال القنانة البالية، وثورة ليبرالية سياسية ضد الشكل الأوتوقراطي للقيصرية، وهي ثورة عمالية في المدن. كان لينين يعي تماماً شروط التطور التاريخي للرأسمالية وسعى للخروج منها وتجاوزها كما وضعها ماركس.

ولا يمكن تجاوز الرأسمالية إلا بعد وصولها مرحلة عليا من النضج. وكانت شروط النضج غائبة عن روسيا. لذلك اعترض مفكرون كبار على فكرة استيلاء الطبقة العاملة الروسية على السلطة. اعترض كاوتسكي، الذي أكّدّ أن ضعف التطور الرأسمالي لروسيا لا يتيح للبلاشفة الاستمرار في السلطة على قاعدة مثل هذه، وتنبأ في دراسات عديدة مطلع ثلاثينيات القرن وقبل وفاته عام ١٩٣٨ بتعذر استمرار التجربة.

وأكدّ انطونيوغرامشي أن الثورة الروسية هي ضد منطق ماركس الوارد في كتابه (رأس المال) باعتبار روسيا البلد الأفقر والأقل تطوراً، واعترض بليخانوف الذي قال إن بلداً مثل روسيا يقوم على انتاج سلعي صغير، وبحر من الفلاحين (البنية التحتية) لن يسمح بنشوء نظام سوى استبداد قيصري حتى لو ارتدى رداء بلشفيا. كان النموذج السياسي الاقتصادي والاجتماعي الذي بناه لينين هو نموذج رأس مالي حكومي.

وقد أصر مجموعة من الأدباء مثل فلاديمير بوكوفسكي وفارلام شالاموف ان يحتفظوا للأحرار لإنسانيتهم وقدراتهم التي لا تقهر، وبكرامتهم التي تظلّ مرفوعة كما فعل فلاديمير بوكوفسكي في روايته (وتعود الريح) والتي تعتبر ضحكة ساخرة لكائن جبار هو الانسان في وجه التعذيب والتجويع والقتل، وهذا الأدب ظلّ محظوراً، وغالباً لم يتح له أن يرى النور إلا بعد أن غيّب أصحابه الزمن أو بعد أن غاب زمانهم.

وإذا كان الاقتصاد الحقيقي والعيني الذي عرفه ماركس والمتمثل بالزراعة والصناعة والتجارة والخدمات، فإننا اليوم في زمن الاقتصاد الافتراضي الذي لم يكن موجوداً أيام ماركس، والاقتصاد الافتراضي هو اقتصاد غير مرئي وتتحكم فيه فئة محدودة جداً من البشر على مستوى العالم وليس من السهولة أن نعرف من هم هؤلاء الاشخاص. وهم بما يملكون من مال قادرون على التحكم بمقدرات الأرض وخيرات الشعوب، وهم يسرقون وينهبون هذه الخيرات لكن بطريقة سهلة وسلسة من دون أن تدري الشعوب بذلك.

انهم أقوى من الدول مجتمعة، لا بل أن الدول نفسها تعمل في خدمتهم وهم يجمعون أموالاً طائلة لم يكن ليحلم بها قارون في زمانه. وليس من المصادفة في شيء أن يكون جميع من يتولى رئاسة المؤسسات المالية العالمية مثل البنك الأوروبي أو صندوق النقد الدولي أو البنك الفيدرالي الأميركي أو وزارة الخزانة الأميريكية موظفين في هذه البنوك والصناديق التي تتحكم في البورصة العالمية وتمتلك تريليونات الدولارات.

والرأسمالية التي قال عنها ماركس يوماً أنها تملك بذور فنائها، ستفنى وتندثر بعدما تحولت إلى رأسمالية متوحشة، لكن لا لتحكم مكانها طبقة البروليتاريا، فهذه الرأسمالية المتوحشة ستقود العالم إلى الفوضى والخراب إلى درجة أن العالم نفسه مهدد.

انهيار الاتحاد السوفييتي وانهيار الاقتصاد الموجه معه ودفع عملية الخصخصة وإلغاء الضوابط إلى مديات قصوى، تشكل انتصاراً لاقتصاد السوق، وما إبرام اتفاقيات الجات ونشوء منظمة التجارة الدولية، وتسارع عمليات الخصخصة وفتح الأسواق سوى معالم على ظفر قوى اقتصاد السوق عالمياً.

إن فكرة (انتصار السوق) تقترن لدى منظري هذا التيار وسياسيه، بهجوم سياسي أيديولوجي جامح يسير في عدة اتجاهات، الأول الهجوم على دولة الرفاه الاجتماعي، بهدف إعادة (تسليع) العمل، الثاني الهجوم على الدور التنظيمي للدولة في مجالات السياسة المالية والنقدية والاجتماعية الثالث كسر الحواجز القومية أمام حرية حركة رأس المال في بقية ارجاء العالم الرابع تقليص دور الدولة في العالم المتطور والنزول به إلى الدور الذي تلعبه البلديات في المدن.

بتعبير آخر إلغاء دور الدولة القومية كموجه وناظم اقتصادي والاقتصاد وفق هذه النظرة هو الأساس، أما السياسة فهي التابعة وعليه أن الدولة القومية، كأساس للسياسة غدت نافذة، أما الشركات والأسواق المتحررة من سطوة الدولة فستدير عوامل الانتاج بأعلى كفاءة ممكنة.

هذه هي باختصار وجيز النظرة الليبرالية الجديدة للعولمة واتجاهات نشاطها العملي في اطارها.

فلا يجب العودة إلى ماركس حرفياً، إذ لا أصولية للفلسفة لأنها التساؤل الدائم الذي لا ينتهي، بل صراع على مستوى الكوكب بين قوة تمثل أفراداً قليلين بإمكانهم أن يسرقوا الشعوب وهم يجلسون في غرفهم وبين الشعوب التي ستتساوى في البؤس، وقد قيل: ماجاع فقير إلا بما متع به غني. فثروات الأرض التي كان يعتقد مالتوس انها محدودة جداً ولا تكفي وأن المجاعة آتية لاريب تبين انها غير محدودة بمعنى ما، وان الأرض بما لديها من طاقات كفيلة بإطعام المليارات لا سيما مع تطور العلم.

وبما أن ماركس ينتمي إلى المظلة الهيغلية، فهو إذاً يعتبر أن تفسير العالم الذي كان مهمة الفلاسفة منذ ما قبل افلاطون وأرسطو حيث اعتبر هذا الأخير أن الفلسفة هي البحث عن العلل والمبادئ الأولى قد انتهى مع هيغل الذي ختم الفلسفة والمطلوب الآن لما يتوافق مع هذا التفسير الذي مازلنا بشكل أو بآخر، نرزح تحته أعني ان السستام الهيغلي مازال طاغياً ومهيمناً.

أما نيتشه فقد رفض هيغل كلياً، وكان رفضه ينطلق من نقاط تقع خارج المظلة الهيغلية. وهذا ما تابعه فلاسفة الغرب من امثال فوكو ودولوز ودريدا وليوتار، في محاولاتهم الافلات من السستام الهيغلي، فالفضاء الفكري لهؤلاء بالاستناد إلى نيتشه، يختلف جذرياً عن الفضاء الفكري الهيغلي فإذا أردنا أن نفكر بشكل مختلف حقاً علينا أن نقوم بنقد جذري لصورة الفكر التي يأخذها الفكر عن نفسه، لأنها هي التي تتحكم في ابداع المفاهيم وهذا ما فعله نيتشه.

وجه نيتشه نقداً لبنية الفكر والأخلاق السائدة لكن لا كما فعل كانط الذي وجه نقداً للأخلاق لاسيما اتجاهاتها الخالطئة والمزيفة، من دون أن يتخلي عن هذه الأخلاق، ولذلك أعاد كانط في العقل العملي ما رفضه في العقل النظري، أما في نظر نيتشه فالمطلوب هدم القيم السائدة وتقويضها من أساسها وإبداء قيم جديدة مكانها، فهو يرفض القيم السائدة الإلهية والإنسانية معاً، لكنه في المقابل يرفض غياب القيم، لذا يقوم بابتداع قيم جديدة مكانها. لقد ميّز نيتشه بين قيم السيد وقيم العبد فالعبد يبقى عبداً وإن استلم السلطة مادام

يفكر بالذهنية ذاتها ويتبنى القيم ذاتها. وقد عُرف دولوز بالفيلسوف المرتحل أو البدوي، وقد ارتكز على نيتشه في ابداعه لمفهوم الفكر البدوي، فمنذ كتابه (نيتشه والفلسفة) اعتبر دولوز ان نيتشه يمثل فلسفة مضادة.

قال نيتشه في كتاب (العلم الجذل) عن إله الحداثة: «كيف استطعنا أن نفرغ البحر؟ من أعطانا الأسفنجة لمحو كل هذا الأفق؟ ماذا فعلنا فصلنا الأرض عن شمسها؟ إلى أين تقودها حركاتها حركاتنا؟ أبعيداً عن كل الشموس؟ ألم نندفع في منحدر لا قرار له، أما يزال هناك أعلى وأسفل؟ ألسنا نتيه صوب عدم لانهائي؟»

بتلك الكلمات مهدّ الطريق لظهور مابعد الحداثة، هذا هو عالم مابعد الحداثة بلا ثوابت أو مركزية أو حدود، لا شيء يتجاوز المادي المباشر لا يمكن لأي منظومة أخلاقية أن تحكم. الإنسان كائن غرائزي مثله مثل بقية الكائنات، وكل الكائنات جزء من الطبيعة المادية التي تخضع كل الكائنات فيها لـ (إرادة القوة) وإرادة القوة هي محرك التاريخ. وسبب هذه القطيعة الكلية مع الثوابت هو أن نيتشه كان يرى أن الحداثة بمفهومها الغربي ماهي إلا ميتافيزيقيا مقنعة وهم يؤله فيه الإنسان بدلاً من الإله وتصبح فيها الحضارة الغربية هي المطلق.

أعلنت كلمات نيتشه (موت الإله) نذيراً بقدوم عصر جديد خطير سوف يتحدانا جميعا. وكانت تلك الكلمات تحذيراً بصفته مراقباً يتكلم من أجلنا جميعاً. إن عبارة (موت الإله) لم تكن جعجعة إلحادية بغيضة، بل تحسراً، وصرخة في المساعدة. فمن نكون نحن حتى نقرر معنى وجودها أو أهميته، من نحن حتى نقرر ماهو جيد أو صحيح في هذا العالم؟ كيف نستطيع أن نحمل هذا العبء على كاهلنا؟.

فهم نيتشه أن الفوضى وعدم قابلية المعرفة أمران أصيلان ملازمان للوجود، وآمن بأننا لسنا مؤهلين نفسياً للتعامل مع مهمة شرح المغزى الكوني لوجودنا. وقد شاهد الديانات الأيديولوجية التي اكتسحت البشر في عقاب عصر التنوير (الديموقراطية، القومية، الشيوعية، الاشتراكية، الكولونيالية)، وغيرها فرأى أنها ليست أكثر من تأجيل للأزمة الوجودية التي ستعانيها البشرية. كان يكره هذه الأيديولوجيات كلها. وجد أن الديموقراطية سذاجة، وأن القومية غباء، وأن الشيوعية أمر مفزع، وأن الكولونيالية عدوان.

إن الإنسان الذي ولد مع الحداثة قد حان وقت زواله، لأن الشروط والترتيبات التي سمحت بوجوده منذ بداية القرن التاسع عشر، أخذت بالتبدل والتغير، لهذا أعلن فوكو (موت الإنسان) لأنه اكتشف أن هناك قوى أقوى بكثير من الإنسان تفعل فعلها فيه ولا تسمح له بادعاءاته التي يتبجح بها، قوى في الاقتصاد، واللغة والحياة فإن تناهي الإنسان الحديث ينبع من ذاته وولادة الانسان الحديث جاءت محددة بقدراته المتناهية، ومع ذلك فقد عيّن لنفسه مهمة فوق بشرية أي مهمة إلهية، واحتل العرش الذي تركه الله، لا سيما مع اعلان موت الله النيتشوي. ومع موت الإنسان يزول الأساس الذي تستند إليه العلوم الإنسانية.

المسألة اليوم هي الحياة. والحياة كما يقول فوكو: (هي رهان الصراعات السياسية حتى وإن تم التعبير عنها عبر تعابير حقوقية: الحق في الحياة وفي الجسد وفي الصحة، وفي السعادة، وفي إشباع الحاجات، وهذا الحق غير مفهوم في السستام الكلاسيكي).

يلحظ دولوز عند فوكو، أن هذا التبدل في عناوين المقاومة تبدل تبعاً للتبدل في بنية السلطة نفسها. كان الملك يملك حق الاعدام. أما اليوم فتتخلى السلطة عن هذا الحق وتميل إلى إلغاءه. ولكن في المقابل تسمح بالمجازر والكوارث، ليس جراء العودة إلى الحق في القتل بل على العكس بإسم العرق والمساحة الحيوية والشروط الحياتية لمجموعة بشرية تظن نفسها الأفضل وتعامل عدوها لا بوصفه العدو الحقيقي، بل بوصفه خطراً بايولوجياً. ويخلص دولوز إلى القول (تصير الحياة مقاومة للسلطة عندما تتخذ السلطة الحياة موضوعاً لها).

وفوكو يعدل خطة دراسته ليرجع إلى الأغريق حيث يبرز الشعار التالي: (إذا أردت أن تكون مواطناً فاعلاً في المدينة فعليك أولاً أن تتمكن من السيطرة على نفسك).

لكل ما هو سائد من فلسفات فهناك مواجهة بين نيتشه والفلسفة السائدة، فنقد صورة الفلسفة هو استكمال لعمل كانط في نقد العقل المحض، فكما أن كانط وقبل أن يقوم بنقد لموضوعات المعرفة لسساتيم الفلسفة، قام بنقد العقل المحض، وبيّن حدوده وامكاناته، كذلك اعتبر دولوز أنه لابد من القيام بنقد جذري لصورة الفكر الكلاسيكي، حتى نتوصل إلى فكر من دون صورة، إذا أردنا أن نفكر من جديد بشكل مختلف، أي إذا أردنا أن نجعل الفلسفة من جديد ممكنة.

هذا الفكر الجديد يتطلب نقداً جذرياً لمسلمات صورة الفكر القائمة، حتى نتوصل إلى فكر من دون صورة أي إلى الفكر البدوي. وأفضل من وجه نقداً لصورة الفكر الدغمائية السائدة هو نيتشه الذي وجه نقداً جذرياً لمفهوم الحقيقة، معتبراً أن مقولتي الصواب والخطأ لم تعدا نافعتين للحكم على القول الفلسفي حيث خلق مكانهما مقولتا المعنى والقيمة.

فهناك صورة عالية ذات قيمة وصور هابطة لا قيمة لها. يقول دولوز: (نعيش على صورة معينة للفكر، أي أن لدينا، قبل أن نفكر فكرة مبهمة عما يعنيه التفكير، عن الوسائل والأهداف نعم صورة جديدة لفعل التفكير واشتغاله ونشأته في الفكر نفسه هذا حقاً ما نبحث عنه).

ويقول أيضاً (إنّ ما تم سحقه وإبطاله باعتباره أذى، كل ماينتمي إلى فكر من دون صورة البداوة، آلة الحرب، الصيرورات، القرانات المخالفة للطبيعة، الاقتناصات والسرقات مابين المملكتين، اللغات الصغرى أو التلعثمات باللغة بالتأكيد فروع معرفية غير الفلسفة وتاريخها يمكن أن تلعب دور المضطهد للفكر).

(الجزيرة المهجورة وحوارات) في زمن دولوز لعب كل من ماركس وفرويد وسوسير، أي التغيير والتأويل والنطق، دور مضطهد ذي ثلاثة رؤوس، فالجميع سلّم، في وقت من الأوقات بأنه لابد أن نكون مع ماركس أو فرويد، وأن نبتعد كثيراً عن سوسير. للتخلص من كل ذلك يبني دولوز على نيتشه لأنه قوّض صورة الفكر القائمة، وأحل مكانها صورة جديدة للفكر أو أحل مكانها فكراً من دون صورة، وكذلك بنى دولوز على مفكرين وفلاسفة وجد فيهم عناصر جدية لهدم صورة الفكر الأخلاقية القائمة وانشاء صورة جديدة مكانها من امثال لوقريتس والرواقيين وسبينوزا وهيوم وبرغسون ولايبتس وبروست وغيرهم.

لم تعد الفلسفة تبحث عن اليقين، لم تعد تبحث عن صخرة صلبة يقينية لتقف عليها وتعيد بناء الكل من خلالها، فهي تمد أسطحاً فوق الخواء وفوق العماء، وتأمل أن تحظى بنوع من التماسك، فالهويات جميعها قد انهارت الذات العارفة والعالم وغيرها من الهويات، وبتنا نعيش في عالم بلا تحت ولا فوق وبلا مرجعية نستند إليها، ومع ذلك نهتم بالأسئلة التي تطرحها علينا طبيعة عقولنا. فالفيلسوف البدوي يخوض حرب عصابات ضد الخارج والداخل ضد نفسه ايضاً.

هذه هي فلسفة مابعد الحداثة حيث يصعب الاستقرار على معنى، وهذا هو عالم مابعد الحداثة المتشظي، حيث تظهر هشاشتنا أمام نسبية كل شيء في هيئة وعي ساخر بالنفس ومحاكاة ساخرة للعالم والواقع من حولنا.

عالم يرى فيه جاك دريدا فيلسوف اللغة أن الحقيقة شظايا مبعثرة نازعاً القداسة عن مركزية العقل، يرى فيه ميشيل فوكو أن الفلسفة ماهي إلا محاولة لتشخيص الواقع والتفكير في اللامفكر فيه لاكتشافه بشكل دقيق لفهم التكوين الحقيقي للظواهر وأسباب سيطرة مواضيع معينة في فترات تاريخية معينة. لا يعدنا فوكو بأي شيء عن الحقيقة بل فقط (جينيالوجيا) أو (علم أنساب)، عالم يسقط فيه جان ليوتار كل السرديات الكبرى التي قامت على أسس العقلانية والتنوير.

عالم مابعد الحداثة الذي ما انفك جان بودريار يؤكد فيه على موت الواقع واغتيال المعنى وتفتت المصادر المنتجة له، عالم مابعد الحداثة؟ عالم مفكك ونسبي ومبعثر لشظايا يصعب فيه اللامعنى وتتفتت السرديات الكبرى – عالم العدم اللانهائي، يسعى مشروع جاك دريدا التفكيكي نحو الكشف عن لا استقرارية اللغة والنظام بصورة عامة، ورفض فكرة أنه يمكننا السيطرة على النظام وعلى الطبيعة ككل تبعاً لذلك، فلا يمكننا حسب دريدا التنبؤ بنشاط العلامة، ولا يوجد أي ارتباط نهائي قار وثابت لضمان اشكاليات التواصل من خلال اللغة. فزلات اللسان والأخطاء تحدث دائماً وللكلمات تاريخ وظلال من المعاني والسياقات السابقة التي وظفت فيها، وحتى على المستوى الصوتي هناك بعض الأصوات التي تحمل إيحاءات مختلفة لمتلقين مختلفين.

كيف عَلّمَ جيفارا كوبا مواجهة فايروس كورونا (٢ – ٢)

عندما كان رافئيل كوريا Rafael Correa رئيساً للأكوادور، كان أكثر من ألف طبيب كوبي يشكلون العمود الفقري لنظام الرعاية الصحية هُناك. تم انتخاب لينين مورينو Lenin Moreno رئيساً للأكوادور في عام ٢٠١٧ وتلى ذلك طرد الأطباء الكوبيين، مما ترك الطب العام في فوضى. قام مورينو بتنفيذ توصيات صندوق النقد الدولي بتخفيض ميزانية الصحة في الأكوادور بنسبة ٣٦، مما تركها دون أخصائي الرعاية الصحية، وبدون مُعدات الوقاية الشخصية وقبل كل شي، بدون نظام رعاية صحية مُتماسك. وفي حين كان لدى فنزويلا وكوبا ٢٧ حالة وفاة من مرض كورونا COVID–١٩، كان لدى Guayaquil أكبر المُدن السلفادورية ما يُقدر بـ ٧,٦٠٠ حالة وفاة.

ترجمة:
غريب عوض

الإستجابة الطبية الدولية: ربما اشتهر الطب الكوبي بأُمميته. والمثال الواضح على ذلك هو الزلزال المُدمر الذي عصف بهايتي Haiti في عام 2020. أرسلت كوبا بطاقم طبي الذي عاش أفراده بين الناس في هايتي وبقوا هُناك لعدة شهور أو سنوات بعد الزلزال. غير أن الأطباء الأمريكيين لم ينامو بين مجاميع الضحايا الهايتيين. بل عادوا إلى الفنادق الفاخرة في الليل وقادروا بعد بضعة أسابيع. وضع John Kirk مصطلح «سياحة الكوارث» يصف بذلك الطريقة التي استجابت بها الكثير من الدول الغنية للأزمة الصحية في البُلدان الفقيرة.

الإلتزام الذي يظهره الطاقم الطبي الكوبي دولياً هو أستمرار للجهود التي يبذلها نظام الرعاية الصحية في البلاد في قضاء ثلاثة عقود في إيجاد أفضل طريقة لتقوية الروابط بين المتخصصين في تقديم الرعاية ومن يخدمونهم. وبحلول عام 2008، كانت كوبا قد بعثت بما يزيد على 120،000 من المتخصصين في الرعاية الصحية إلى 154 بلداً، وأعتنى أطباؤها بما يزيد على 70 مليون إنسان في العالم، وما يقرب من مليوني شخص يُدينون بحياتهم للخدمات الطبية الكوبية في بلادهم.

أفادت وكالة أسوشيتيد برس أنهُ عندما أنتشرت جائحة كورونا COVID–19 في جميع أنحاء العالم، كان لدى كوبا سبعة وثلاثون ألف عامل طبي في سبعة وستين دولة. وسرعان ما نشرت أطباء إضافيين في سورينام، وجامايكا، ودومينيكا، وبليز، وسانت فنسنت، والجرينادين، وسانت كيتس ونفيس، ونيكاراغوا. وفي 16 نيسان/أبريل، ذكرت Granma جريدة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوبي أنهُ "تم نشر 21 كتيبة من المُتخصصين في الرعاية الصحية للإنضمام إلى الجهود الوطنية والمحلية في 20 دولة". وفي نفس اليوم أرسلت كوبا مائتي موظف صحي إلى دولة قطر.

وبما أن شمال إيطاليا أصبح بؤرة حالات فيروس كورونا COVID–19، كانت كريما Crema في منطقة لومباردي Lombardy من أكثر المُدُن تَضرراً. امتلأت غرفة الطوارئ في المستشفى حتى كامل سعتها. وفي آذار/مارس، بعثت كوبا إثنان وخمسون طبيباً ومُمرضه الذي أقاموا مستشفياً ميدانياً بِه ثلاث أسِرة في وحدة العناية المُركزة واثنين وثلاثين سريراً آخر بالأُكسجين. كانت الدولة الكاريبية الأصغر والأفقر من بين الدول القليلة التي تُساعد قوة أوروبية كُبرى. كان لتدخل كوبا أثرهُ. فبحلول 17 نيسان/أبريل، ثبتت إصابة 30 من المتخصصين الطبيين من الذين سافروا إلى الخارج بفيروس كورونا COVID–19.

جَلّبْ العالم إلى كوبا: الجانب الآخر من إرسال كوبا للعاملين الطبيين إلى جميع أنحاء العالم هو الأشخاص الذين جلبتهم إلى الجزيرة من الطلاب والمرضى. عندما كان الأطباء الكوبيين في جمهورية الكونغو في عام 1966، رؤوا الشباب يدرسون بمفردهم تحت ضوء مصابيح الشوارع أثناء الليل ورتبوا لهم للقدوم إلى هافانا. وحتى أنهم جلبوا معهم مزيد من الطلاب الأفارقة خلال الحروب الأنغولية من عام 1975–1988 ثم جلبوا أعداداً كبيرة من طلاب أمريكا اللاتينية لدراسة الطب إثر هبوب الإعصارين ميتش Mitch و جورجيز Georges. حتى أن عدد الطلاب الذين قدِموا إلى كوبا للدراسة ازداد في عام 1999 عندما افتتحت فصولاً في مدرسة أمريكا اللاتينية للطب (ELAM). وبحلول عام 2020، دربت مدرسة ELAM ثلاثون ألف طبيب من حوالي مائة بلد.

كما أن كوبا لديها تاريخ في جلب المرضى الأجانب للعلاج. بعد الإنهيار النووي عام 1986 في تشيرنوبيل في الإتحاد السوفيتي، جاء خمسة وعشرون ألف مريض، معظمهم من الأطفال، إلى الجزيرة لتلقي العلاج، وبقي بعضهم لأشهُر أو سنوات. فتحت كوبا أبوابها وأسرة المستشفيات، ومُعسكر صيفي للشباب.

في 12 آذار/مارس، ما يُقارب خمسون من البحارة والرُكاب على متن الباخِرة البريطانية MS Braemar أما مُصابين بفَيروس كورونا COVID–19 أو ظهرت عليهم الأعراض حينما اقتربت الباخرة من جُزُر البهاما، دولة الكومنولث البريطاني. ونظراً لأن الباخرة Braemar ترفع علم جُزُر البهاما كسفينة تابعة للكومنولث، يجب أن لا تكون هناك مشكلة في إنزال من كانوا على متنها للعلاج والعودة إلى المملكة المتحدة.

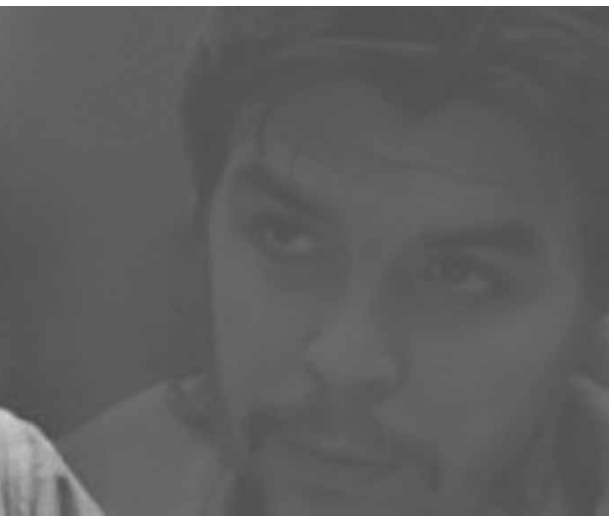

ولكن وزارة المواصلات في جزر البهاما أعلنت أنهُ لن يُسمح لسفينة الرحلات البحرية بالرسو في أي ميناء في جُزُر البهاما "ولن يُسمح لأي شخص بالنزول من السفينة". وخلال الأيام الخمسة التالية، رفضتها الولايات المتحدة وبربيدوس (دولة أخرى من دول الكومنولث) والعديد من دول الكاريبي الأُخرى. وفي 18 آذار/مارس أصبحت كوبا البلد الوحيد التي سمحت لما يزيد على ألف من بحارة ورُكاب الباخِرة Braemar بالرسو. أُتيح العلاج في المستشفيات الكوبية لهؤلاء الذين شعروا أنهم غير قادرين على السفر بالطائرة. أغلبهم ذهبوا بالباصات إلى مطار جوزي مارتي الدولي ليغادروا إلى المملكة المتحدة. وقبل المُغادرة، وضع بحارة الباخرة Braemar لافتة كُتبَ عليها "نحنُ نُحبُك يا كوبا". أحد الرُكاب وأسمها Anthea Guthrie كتبت في صفحتها على Facebook: "لقد جعلونا لا نشعر برحابة الصدر فحسب، بل جعلونا موضع ترحيب بالفعل."

الدواء للجميع: في عام 1981، كان هناك إنتشار سيء بشكل خاص لحُمى الضنك التي ينقلها البعوض، والتي تضرب الجزيرة كل بضع سنوات. في ذلك الوقت، عَلِمَ الكثيرون لأول مرة بالمستوى العالي جداً لمعاهد الأبحاث الكوبية التي ابتكرت مُضاد للفيروسات ألفا 2B لعلاج حُمى الضنك بنجاح. وكما تُشير هيلين ياف Helen Yaffe، " لقد أظهر عقار الإنترفيرون الكوبي فاعليته وسلامته في علاج الأمراض الفيروسية بما في ذلك إلتهاب الكبد B و C والقوباء المنطقية

بقلم:
*Don Fitz

وفيروس نقص المناعة المُكتسبة الإيدز وحمى الضنك." وتم تحقيق هذا من خلال منع المُضاعفات التي قد تؤدي إلى تفاقم حالة المريض وتؤدي إلى الوفاة. استمرت فاعلية الدواء لعقود من الزمن، وفي عام 2020، أصبح لهُ أهمية حيوية كعلاجاً مُحتمل لجائحة كورونا COVID–19. وما بقي أيضاً هو حُرص كوبا على تطوير العديد من الأدوية ومُشاركتها مع دول أُخرى.

لقد سعت كوبا للعمل بشكل تعاوني تجاه تطوير الأدوية مع دول مثل الصين وفنزويلا والبرازيل. ونتج من التعاون مع البرازيل لقاحات إلتهاب السحايا وبتكلفة بلغت 95 سنتاً بدلاً من 15 إلى 20 دولاراً لكل جرعة. وأخيراً، تُعلم كوبا الدول الأخرى إنتاج الأدوية بنفسها حتى لا يعتمدوا على شراؤها من الدول الأغنى.

من أجل التعامل بشكل فعال مع المرض، كثيراً ما يتم البحث عن الأدوية لثلاثة أهداف: فحوصات لتحديد المُصابين؛ علاجات للمُساعدة في درء أو علاج المشاكل؛ واللقاحات لمنع الإلتهابات. وبمجرد توفر الفحوصات السريعة لتفاعل البوليميراز المُتسلسل، بدأت كوبا في استخدامها على نطاق واسع في جميع أنحاء الجزيرة. طورت كوبا كُلاً من Interferon Alpha 2B (بروتين مؤتلف) و PrevengHo–Vir (دواء منزلي). وأفادت قناة teleSUR التلفزيونية أنهُ بحلول 27 آذار/مارس، طلبت أكثر من 45 دولة عقار Interferon الكوبي من أجل السيطرة على الفيروس ثم التخلص منه.

يسعى مركز كوبا للهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية إلى ابتكار لقاح ضد فيروس كورونا COVID–19. أكد مُدير أبحاث الطب الحيوي، الدكتور Gerardo Guillén، أن فريقهُ يتعاون مع باحثين صينيين في يونغزو Yongzhou بمقاطعة هونان Hunan، لإبتكار لقاح لتحفيز جهاز المناعة والذي يمكن تناوله عن طريق الأنف، وهو طريق انتقال فيروس كورونا COVID–19. وأياً كان ما تُطوّرهُ كوبا، فمن المؤكد أنهُ ستتم مُشاركتهُ مع دول أخرى بتكلفة مُنخفضة، على عكس الأدوية الأمريكية الحاصلة على براءات اختراع على حساب دافعي الضرائب، بحيثُ يمكن لِعمالقة الأدوية الخاصة أن تبتلع أولئك الذين يحتاجون إلى الدواء.

البُلدان التي لم تتعلم كيف تُشارك: تُظهر بعثات التضامن الكوبية إهتماماً حقيقياً الذي غالباً ما يبدو أنهُ غير موجود في أنظمة العناية الصحية في الدول الأخرى. غالباً ما تكون الجمعيات الطبية في فنزويلا والبرازيل ودول أُخرى مُعادية للأطباء الكوبيين. ومع ذلك، لا يمكنهم العثور على ما يكفي من أطبائهم للسفر في ظروف خطرة أو الذهاب إلى المناطق الريفية والفقيرة، على ظهور الحمير أو في الزوارق إذا لَزِمَ الأمر، كما يفعل الأطباء الكوبيون.

عندما كُنتُ في البيرو Peru في عام 2010، قُمتُ بزيارة المركز الصحي في مدينة بيسكو Pisco. وشرح لي مدير المركز الكوبي ليوبولدو غارسيا Leopoldo Garcia بأن الرئيس ألان غارسيا Alan Garcia في تلك الفترة لا يُريد أطباء كوبيين إضافيين و يجب عليهم الصمت أذا أرادوا البقاء في البيرو. تُدرك كوبا جيداً أنهُ يتعين عليها تعديل كل بعثة طبية لِتُلائم المناخ السياسي.

هناك استثناء واحد على الأقل للأطباء الكوبيين الباقون في بلد وفقاً لنزوة القيادة السياسية. بدأت كوبا تقديم العناية الطبية في الهندوراس في عام 1998. وخلال الثمانية عشر شهراً الأولى من جهود كوبا في الهندوراس، انخفض معدل وفيات الأطفال في البلاد من 30.9 إلى 80.3 حالة وفاة لكل 1000 ولادة حية. تغيرت الأجواء السياسية، وفي عام 2005، قررت وزيرة الصحة الهندوراسية ميرلين فرناندیز Merlin Fernadez طرد الأطباء الكوبيين. ومع ذلك، أدى ذلك إلى مُعارضة شديدة لدرجة أن الحكومة غيرت مسارها وسمحت للكوبيين بالبقاء.

هُناك مِثال كارثي وجدير بالمُلاحظة عندما رفضت دولة ما عرض المُساعدة الكوبية في أعقاب إعصار كاترينا. بعد ضربة الإعصار في عام 2005، كان هناك 1،586 من المتخصصين الصحيين الكوبيين على استعداد للمُغادرة إلى نيو أورلينز New Orleans. إلا أن الرئيس جورج دبليو بوش George W. Bush، رفض العرض، مُتصرفاً كما لو كان من الأفضل أن يموت المواطنون الأمريكيين بدلاً مَن الإعتراف بجودة المُساعدة الكوبية.

على الرغم من أن حكومة الولايات المتحدة لا تتعامل بلطف مع الطلاب الذين يدرسون في مدرسة أمريكا اللاتينية للطب ELAM، إلا أنهم لا يزالون قادرين على تطبيق ما تعلموه عندما يعودون إلى الوطن. في عام 1988، أسست كاثرين هول تروجيلو Kathryn Hall–Trujillo من مدينة الباكركي، في نيو مكسيكو مشروع الميلاد الولايات المتحدة الأمريكية، الذي يُدرب المؤيدين للعمل مع النساء الأمريكيات من أصول أفريقية ويتصلوا بهم من خلال العام الأول من حياة الطفل الرضيع. إنها مُمتنة لشراكة مشروع الميلاد مع كوبا والدعم الذي قدمه العديد من طلاب مدرسة أمريكا اللاتينية للطب ELAM.

في عام 2018، أخبرتني: "نحنُ مكان عائلي لطلاب مدرسة أمريكا اللاتينية للطب ELAM الذين يرون العمل معنا كوسيلة لتطبيق ما تعلموه في مدرسة أمريكا اللاتينية للطب."

استرجع الدكتور الكوبي جوليو لوبيز بنيتيز Julio Lopez Benitez في عام 2017 بأنهُ عندما قامت الدولة بتجديد عياداتها في عام 1974، كان نموذج العيادة القديم المرضى يذهبون إلى العيادات، ولكن النموذج الجديد كانت العيادات هي التي تذهب إلى المرضى. وبالمثل، عندما نظرت الدكتورة ميليسا باربر Melissa Barber، خريجة مدرسة أمريكا اللاتينية للطب ELAM، إلى حيها في جنوب برونكس خلال جائحة كورونا COVID–19، أدركت أنهُ في حين طلبت معظم الولايات المتحدة من الناس الذهاب إلى الوكالات، فإن ما يحتاجه الناس هي مُقاربة مُجتمعية تُجند المنظمين للذهاب إلى الناس. تعمل الدكتورة باربر في تحالف مع اتحاد جنوب برونكس South Bronx Unite، وموت هافن ماماس Mott Haven Mamas ، والعديد من جمعيات المُستأجرين المحلية. وكما هو الحال في كوبا، إنهم يحاولون تحديد أُولئك من هم في المجتمع الذين هم عِرضة للمرض، بما فيهم "كبار السن، العوائل التي لديها أطفال رُضع، وأطفال صغار، الأشخاص الذين لا يُغادرون البيت، الأشخاص الذين يعانون من اعتلالات مُتعدِدة ويكونون عرضة بالفعل لفيروس مثل هذا. "

عندما يكتشفون من يحتاج إلى المُساعدة، فإنهم يبحثون عن الموارد لمُساعدتهم، مثل البقالة ومُعدات الوقاية الشخصية والأدويـة والعلاج. بإختصار، تتمثل مُقاربة التحالُف في الذهاب إلى البيوت لضمان عدم إخفاق الناس. هُناك فجوة هائلة مع مجموعات كبيرة تتجه نحو الحافة. إن ما تحتاجة البُلدن التي تتبني إقتصاد السوق هو إجراءات مثل تلك في جنوب برونكس وكوبا التي يتم تنفيذها على نطاق وطني.

كان هذا ما تصورهُ تشي جيفارا في عام 1951. قبل عقود من انتشار فيروس كورونا COVID–19 من شخص إلى آخر. أنتقل خيال تشي من طبيب إلى آخر. أو رُبما شارك الكثيرون رؤاهم الخاصة على نطاق واسع لدرجة أنهُ بعد عام 1959، جلبت كوبا الطب الثوري في أي مكان تستطيع. من الواضح، أن تشي لم يقُم بتصميم الإجراءات الداخلية المُعقدة للنظام الطبي الحالي في كوبا. ولكنهُ تبعهُ مُعالجون نسجوا تصميمات إضافية في نسيج يتكشف الآن عبر القارات. وفي أزمنة مُعيّنة في التاريخ، آلاف أو ملايين الناس ترى صور مُشابهة لمستقبل مختلف. إن انتشار أفكارهم على نطاق واسع بما فيه الكفاية خلال ساعة تفكك الهياكل الإجتماعية، عندها يمكن أن تُصبح الفكرة الثورية قوة مادية في بناء عالَمٌ جديد.

---

* Don Fitz هو من ضمن أعضاء هيئة تحرير مجلة Green Social Thought وكان مُرشح حزب الخُضر لحكم ولاية ميزوري لعام 2016. وكِتابهِ "الرعاية الصحية الكوبية: الثورة المُستمرة" قادمٌ من مجلة Monthly Review.

صداقات الأدب

كان جان جاك روسو يقطع كيلومترات طويلة مشيا على الأقدام لزيارة صديقه دنيس ديدرو، كلاهما كان لديه عقلا نقديا جامحا، ونظرة فلسفية عميقة للحياة. كانا في الثلاثين من عمريهما حين جمعتهما الأقدار، وظلاّ صديقين طيلة العمر.

بعد وفاة روسو عاش ديدرو ست سنوات بدون صديقه، كانت أقسى سنوات حياته، قبل أن يغادر هذه الحياة هو الآخر.

هذه الصداقة الفريدة بين مفكرين عظيمين اتفقا في بعض الأفكار واختلفا في بعضها كان لها تأثيرا كبيرا على مسار الثورة الفرنسية، لكن الأكيد أنهما دفعا الثمن غاليا بسبب أفكارهما تلك، فقد تقدما عن مجتمعهما بسنوات كثيرة، أمّا شهرة كل واحد منهما فقد كانت وليدة اجتهاد شخصي، فقد رسم كل واحد منهما خط حياته قبل اللقاء بالآخر.

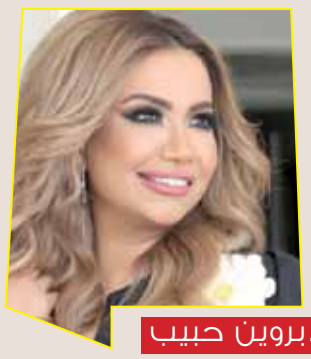

د.بروين حبيب

ظلّت صداقة الرجلين على هامش المهتمين بالأدب، مثلها مثل غيرها من الصداقات التي تميزت في تاريخ الزمالة الأدبية. ولعلّ الكراهية بين الأدباء هي التي أخذت حيزا أكبر من الإهتمام، أمّا الحب فقد كان سيد الأعمال الأدبية، سواء كموضوع مطروح أدبيا أو كموضوع محوري في العلاقات الرومانسية التي عاشها الأدباء سرا وعلانية في أزمانهم.

شهدت الساحة الأدبية الكثير من الثنائيات المتنافرة، قامت بتبادل الشتائم وأقسى عبارات القذف، فيما بعضهم استعمل قبضته لتصفية حساباته مع غريمه، مثلما فعل ماريو فارغاس يوسا حين لكم إرنست همينغواي، هذا الأخير الذي كان يشرب حتى الثمالة، كثيرا ما أنهى جلساته النقاشية في بارات باريس بمشاجرات كالتي سجلها التاريخ ضده حين وجه ضربات لصديقه اللدود فرانسيس سكوت فيتزجيرالد، وظلّت صداقتهما تتأرجح حتى انتهت نهائيا، وما عاد هناك أمل لإنقاذها، فقد استنفذ كليهما حماقاته المراهقاتية مع الآخر.

بعض تلك العلاقات المتوتّرة نجدها مبثوثة في مقالات كثيرة هنا وهناك، تروي تفاصيل تلك الكراهية التي تجاوزت استعمال قبضة اليد إلى استعمال السلاح لتصفية حسابات وهمية ربما أساسها الغيرة والتنافس والشهرة. فيرلين ورامبو، بروست وجين لوريان نماذج جيدة لتلك القصص المؤسفة التي وثقها التاريخ تحت عنوان الكراهية بين الأدباء.

الموضوع المنسي إذن بين تلك العلاقات المتوترة هو موضوع الصداقة، والتوافق الفكري، والإنسجام الأدبي، ربما لأن النّاس ميّالين لسماع قصص الكراهية أكثر من قصص الصداقة، تماما كميْلهم لقصص العشق الممنوع أكثر من قصص الأزواج المملة.

وربما في مناسبة كهذه واحتفاء بالصداقة الأدبية النادرة، وجب علينا أن نتذكّر صداقة يوهان غوته أشهر أدباء ألمانيا في القرن التاسع عشر بالشاعر المسرحي فريدريتش شيللر، والتي استمرت أيضا حتى وفاة هذا الأخير، ويذكر التاريخ كم حاول بعضهم الإيقاع بينهما دون تحقيق أدنى نتيجة، فقد كان ما يربطهما متينا وفريدا من نوعه، وظلّ علامة فارقة في حياة غوته نفسه، إذ اعتبرها مرحلة جديدة في حياته، كانت أكثر انتاجية، وأكثر سعادة كما وصفها بنفسه. وقد شهد لهما النقاد بعظمة صداقتهما، وأنها حدث استثنائي وجميل أثرى المسار الجمالي الفكري للأمة. يختصر ريتشارد فريدنتال أن صداقتهما " تنافس ناجح، أو هدنة بين قوتين عظيمتين عبر خط ترسيم لحدود نهائية لا تشكيك فيها.

امتدت المراسلات بين غوته وشيللر لمدة عشر سنوات، ضمت الكثير من الرؤى الإبداعية، في نقطة التحوّل الكبرى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر في ألمانيا، والتي تميزت بشكل خاص بتطور الفلسفة وشهدت ولادة النظريات الجمالية...

أهمية تلك الرسائل أيضا كشفت حجم النّبصّر المدهش في مجالات أخرى علمية، من علم الأحياء إلى علم الفلك والفيزياء والبصريات التي أسس لها غوته على وجه الخصوص.

ثمة من كتب آنذاك أن عشر سنوات فترة قليلة جمعت بين مفكرين بحجميهما، وثمة من اعتبرها على قلّتها اتّسعت لمعارف كثيرة، فتحت أبواب العصر كله على حقبة مثمرة لا تزال ألمانيا تستثمر فيها، ومنها العالم بأسره.

في عالمنا العربي تميز أدباء بصداقاتهم الجميلة، مثل صداقة عبد الرحمان الأبنودي وأمل دنقل رغم أنهما شاعران، وأهل الحكمة قالوا "عدوّك ابن كارك" لكن رقة الرجلين خالفت السائد، ومثلهما يوسف القعيد وجمال الغيطاني، ففي مقابلة مؤثرة جدا، يبوح القعيد أنه كلما رن هاتفه في الصباح ظنّ أن الغيطاني يطلبه كعادته، وأنه غير مصدّق رحيله وغيابه.

ولدي شعور عميق جدا أن ما تناقلته بعض المواقع عن هذه المقابلة التلفزيونية يخفي الكثير مما لا نعرفه عن هذه الصداقة، ويخدم الواجهة الثقافية للأدب العربي، فقد تعاون الرجلان فيما بينهما فكريا وأدبيا، وكلاهما تميز في كتابة الرواية، وإن اختلفا في توظيف عناصر بنائها كرموز نقدية للماضي والحاضر المصري.

ولعلّ الكلام نفسه يقال بشأن المراسلات التي كانت بين عبد الرحمن منيف ومروان قصاب باشي، والتي قدّم لها الدكتور فواز طرابلسي، وصدرت بعد وفاة منيف، وقد صدرت طبعته الأولى العام 2012، عن دار التنوير، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر.

نبدأ قراءة الكتاب فتقشعرُّ أبداننا، أو هذا ما شعرت به، وأنا أقاوم ارتعاشتي منذ مقدمة طرابلسي "تبدأ القصّة بروائي يفقد ثقته بالكلمة، إلى حد اعتبارها تعهرت، فيتمنى لو أنه يرسم.

في أدب الصداقة

عبد الرحمن منيف

بل هو يحاول في الرسم. من جهته، فنان مغترب، لم يعد يكتفي بلغة الخط واللون والكتلة، يريد "البوح" حسب تعبيره بالكلمات. يتقاطع الصديقان عند هم كبير.فنان يبحث عن طرق تعبيربالكلمات، وروائي مهوس بالفنيجرب في طاقة الكلمات، على تعبير عن الخط واللون والكتلة". يجتمع الإثنان على حقول فسيحة يزرعانها بكل أشكل الفنون الممكنة، ولا يمكننا سوى أن نرى بوضوح ما تخبئه النصوص الأدبية القاتمة من رقة لا مثيل لها، وصفاء جميل في المشاعر ظلّ حبيس ستائرنا الإجتماعية الغريبة، التي تضع الأدباء في قوالب خشبية صلبة، وتحشر الفنان في قماشة تشبه الكفن.

في هذا الكتاب نتعرّف على "عاشق البنفسج" كاتبنا منيف، وصديقه الرّسام والنحات السوري مـروان قصاب باشي، الـذي يصمم بنفسه غلاف الكتاب، ويسعد بتقاسم نبض تلك الصداقة مع قراء منيف وقرّاء جدد. بعد صدور الكتاب بأربع سنوات يرحل هو الآخـر، يلتحق بصديقه الذي سبقه إلى الرّفيق الأعلى بإثني عشرة سنة.

في هذه الرسائل رأيت الجسر بين عالمين، بين عالم يهوي في الشرق، هو عالم منيف، وبين عالم قصاب باشي الأوروبـي المتربع على واجهة تشرق عليها الشمس، وتهب عليها نسائم الحياة. رأيت ما يمكن أن يمنحه صديق لصديقه يعاني الخـواء والتعب النفسي من قوة تمنعه من التّداعي والانهيار. رأيت أيضا الكثير من العشق الشّامي الدفين للكاتب الذي وجد ضالته في صديقه ليقول ما يسكنه من هواجس تجاه دمشق التي يحبذ أن يسميها الشام. نكاد نرى بوضوح قراءته العجيبة لتعثرات الأفكار وتوغُّكاتها الإيديولوجية التي نعيش نتائجها اليوم.

كل الحقائق تخرج من بطون الكلمات طازجة كأنّها لم تكتب فقط بين مبدعين من كبار مبدعي هذا الشرق الحزين، ولكنّها كتبت لنا، في كل الأزمنة العربية، منذ هزيمة 67 إلى هزائمنا اليومية الحالية. نتكئ على أطراف الرسالة الأخيرة للقصاب باشي، دون رد من صديقه، نفتح فصلا من الرسائل الملونة بالألوان المائية، بخط يده، نشعر أن الكتاب فيه روح، ويتأهب لعناقنا. نشعر بحرارة الصداقة، وبحقيقتها الملموسة، مثل كائن حي ...

نشم روائـح الأزهـار المـزروعـة في الصفحات الأخيرة، وقد اصبنا بشلل الدهشة والإعجاب، من الكاتب منيف أم قصاب باشي؟ من الرّسام بينهما؟ ما كل ذلك الإبداع الذي لم يصلنا منه غير أربعمائة صفحة من أجمل ما كتب في صداقات الأدب بين كاتبين عربيين. عظيمان مثل غيرهما من عظماء الأدب. صنعا لنفسيهما وطنا إسمها "الصداقة".

بتول حميد

لا تشغلني النهاية..
ولا أبدية اللحظة الناعمة

لا أزعم أن امرأة مثلي
تستطيع أن تخمّن المسافة بين التجربة والكلمات
المجنونة التي تعيش في داخلي
تمسح أحمر الشفاه
دون أن تمحو أثر القبلة
تعلق في رأسي مسماراً غائراً عن الموت
وتضيء فكرة خافتة عن الأمل
تغني ببرود في جبيني
تسرح شعري بكامل هدوئها
لتدس أفكارها الحادة..

*****

أحاولُ أن أتصرفَ كامرأة ناضجة
تحتفظُ في حقيبتِها بمناديل معطرة
لتبكي بوقار خلف جنازة قلبها.. .
امرأةٌ تقيسُ ذكرياتها
وهي تتسوق في متجرٍ نسائي متواضع.. .
تُكوّمُ أياماً كثيرة على الأرضِ
لتشتري ابتسامة واحدة
أمام مرآةٍ عريضة!

*****

لستُ ملاكاً
ابتسامتي خَجْلى
طولي ليس فارعاً كعارضاتِ الأزياء..
ملامحي أقربُ لطفلة عنيدة
غموضُ وجهي واضحٌ كنَمَش
أخبئُ انفعالاتي جيداً وراءَ قلبي
أبللُ شفتيَ بكلام لا أملكُ قولَه
وردودُ أفعالي غالباً متأخرة..
كيف ابتسمت لي بهذهِ الوداعة
كأنكَ تَمسحُ بعينيكَ على روحي؟

****

مثل بطلة فيلم حسناء أريد أن أكون..
ترقص التانجو مع حبيبها
على أغنية لفرانكس سينترا
تغوص ابتسامتها في وجنتها وهو يغازلها
تشرب كأساً من الحلم
تختال بقلبها وهو يخرج من الدانتيلا لبطانة الفستان

قد لا تملك في تلك اللحظة سوى قصراً شفافاً من الكلمات..
لكنها سعيدة..
لا تشغلني النهاية.. ولا أبدية اللحظة الناعمة
أياً يكن سأختم المشهد بتغيير القناة..

«المريضة الصامتة»

المشاعر غير المعبّر عنها لاتموت أبدًا. إنها ً دُفنت حيّة، وستظهر لاحقا بطرق أبشع.

«سيغموند فرويد»

حميد الملا

رواية ذات قدرة فائقة على الإمساك باهتمامك، عملية إبداعية في الوصول إلى الهدف، ولكن بصعوبة المشتاق إلى النهاية المأمولة، قصة غامضة لكن بصيص أمل يتسرب لك رويداً رويداً للوصول الى الحقيقة، إنها رواية"المريضة الصامتة لمؤلفها ألكس ميكاليديس الصادرة عن المركز الثقافي العربي في هذا العام 2020.

أسّرت لي إحدى الزميلات بأنها بعد قراءة الرواية، تفجرت في داخلها ذكرى كانت تعتقد أنها قد دفنتها، ولما سألتها عن تلك الذكرى، قالت: "خيانة زوجي لي مع زوجة صديقه مما أجبرني على طلب الطلاق، فمن يا ترى يداوي جراحي؟ فالذكريات التي كنتُ أحبسها أخذت تندفع بعد أن قرأتُ تلك الرواية وتجد سبيلها الي عبر تلك الكلمات لبطلة الكتاب (اليسيا بيرينسون)".

قلتُ إذن سأقرأها حتى أتمكن من الإلمام بما عانيته، فشعرت بخيط الألم المدفون في صوتها يدفعني نحو تلك الرواية لمعرفة المزيد، وما أن بدأت في القراءة حتى وجدت نفسي قد إنغمستُ فيها كلياً، ولم تترك لي مجالا للتنفس من شدّة التشويق ورشاقة عباراتها ومحتواها المعبر عن آلام وأحزان من يتعرضون للخيانات الزوجية.

تقول: "حتى وأنا جالسة على مكتبي أدرك أن هناك شظايا من حياتي لا أريد لها أن تقفز من ذاكرتي، حتى وإن كان السبب هو إنني لم أجد حتى الآن مبرراً فيما حصل لي وزوجي مما يسبب لي فيضاناً من المرارة في داخلي بسبب هذه الخيانة، ما تزال تمرُّ بي لحظات لا أصّدق فيها بأن زوجي أقدم على هذا العمل الشنيع ودمر حياتي وحياة إسرة صديقه بفعلته هذه رغم تلك السنين من الحب الجياش، والعلاقات الطيبة بين الأسرتين".

"لم يكن في مقدوري تصوّر ذلك وانا التي كنت أظنّ بأن زوجي ملاك لم يبخل على بشئ وكل ما يملكه من حب لي كاف لأن يكون سياجاً عن أي إنحرافات، ولكن هذا ما حصل فهل من تفسيرٍ مقنع؟".

قلت لها: لا تسمحي لما حدث أن يؤثرعلى حياتك، فأجابت: لكن الأمر ليس بيدي يا عزيزي حتى أنني لم أعد قادرة على التركيز في عملي وأجنب نفسي مأساة ما حدث".

اجتاحتني رغبة في الإستزادة من معرفةهذه الحالات، فلجأت إلى أرشيف المحاكم فوجدتُ الكثير من هذه المآسي المعلنة والمخفية في قلوب من تجرّعها وعاناها بصمت للحفاظ على ما تبقى من علاقات أسرية. كيف لتلك المرأة أن تنسى تلك الإساءة وتتجرع صنوف العذاب النفسي ، لتقول كنت أخشى أن أغمض عينيّ ليلا ، لاستيقظ على أحلام لا تنتهي بانتظاري فالمرء يبدأ في تذكر الأشياء القديمة عندما يكبر، واكتشفت أيضا مقدار التشوش الذي يتقافز في ذهني، فلم يكن من السهل عليّ أن أجلس دون التفكير فيما حصل وهآنذا قد جاوزت الأربعين من العمر ومازلت على هذه الحالة المرضية .

تقول: "ألهذه الدرجة كنتُ معدومة الإحساس لما يدور من حولي، هل من المعقول أن يتحوّل الحب بين ليلة وضحاها إلى خيانة، أمر لا يصدق، وهي تشرح ما تعرضت له أحسست بأن عيّنيها مليئتان بالأسى والظلم والفجيعة".

استحضر الذكريات والمعلومات في رأسي لعلي أكتشف نسقاً واضحاً في ما قالته عن زوجها الخائن للعشرة فلا أجد غير الجحود والنذالة والنزوات العابرة التي تدمر الذات في لحظة شبق مرضي.

ندّت عنها تنهيدة ألم وهي تقّص ما جرى لها والمرارة بادية على محياها وكادت الدموع تطفر من عينيها لولا أنني هوّنت عليها بتغيير مسار الحديث، وأثناء ذلك طرأ علىّ ما ذكرته روث في رواية (المريضة الصامتة): "إذا أردت أن تكون معالـجاً جيداً، يجب عليك أن تستوعب مشاعر مرضاك – لكن يجب عليك ألا تتمسك بها لأنها ليست مشاعرك، لا تنتمي إليك".

ولكن وبعد برهة قالت: "شخص قادر على الكذب مراراً وتكراراً، ويستطيع أن يخون شريكه دون أن يشعر بأي ندم أيستحق أن يكوّن سويًا؟ ألم مضاعف ألا تكون محبوباً، فقلت كما قالت كاثي في الرواية: "الحب الذي لايشمل الصدق لا يستحق أن يطلق عليه اسم الحب."

تقول بأنها تبكي صمتاً كل ليلة على وضع مضى عليه سنين، ولكن ذكراه تؤرقها وتجلب لها الحزن على ما آلت إليه تلك العلاقة الصادقة، ولكن للحياة ما لايمكن تجنبه أو ما تتفاجأ به، مضيفة: "هل لأنني أحببت بعمق شديد؟ أو لأنني أحببت أكثر من اللازم"؟.

"لقد جاء وغزا حياتي، كما تقول كاثي، سرق وأغوى وأفسد الشئ

الوحيد في العالم الذي كانت له قيمة بالنسبة الي"، ومع ذلك كانت تكرر: "هل هو فعلا أحبها، أي زوجة صديقه أم كان فقط يستغل جسده؟".

عندها تأملت ملياً، وطلبت منها وأنا عاجز فعلا عن تقديم المساعدة، أريد أن اساعدك ولكن كيف؟

ألقت عليّ نظرة حزينة وأبقت إبتسامة بين شفتيها غير آبهة بما قلت ونظرت إلى من حولها، وقالت: "شكرا على تعاطفك ولكن مثل هذه الجروح لا تندمل حتى ولو مضى زمن عليها".

عندها تيقنت بأن من من يعش التجربة ليس كمن يسمع عنها، ففي رواية (ذائقة طعام هتلر) قول للراوية، فحواه أننا معشر البشر "نعيش في زمن موبوء، زحزح اليقينيات، وشتّت الأسر، وشوه كلّ غرائز البقاء".

فالقلب المعطوب لذلك الزوج الخائن لاسبيل إلى إصلاحه\، فتغليبه لغرائزه على حساب أسرته جنى ثماره دماراً لكلا الاسرتين وخراب بيتين، وحزناً واسى ودموعاً وفقداناً ولوعة وفراقاً، كل ذلك بسبب نزوة عابرة كلفت الأسرتين هذه الاوجاع، فالتجاوز والنسيان في مثل هذه الحالات مستحيل لمن عاش التجربة حتى ولو أراد ذلك، تظلّ صنوف العذاب النفسي تراوده بين الحين والآخر والقلق يلازمه أبد الدهر.

مذاق المرارة الذي تجرعته تلك الإنسانة في ما تبقى من قلب مترع بالجراح يشبه إلى حد ما الموت كمداً، وظلّ شبح تلك الخيانة لايفارقها كالظل، ولم تستطع تجاوز محنتها رغم مرور السنين، فأي ألم قاتل تشعر به وهي تخسر فجأة، وبلا مقدمات حياة بكاملها بنت عليها كل أحلامها وأشواقها، فلغم الخيانة قد فجر كل ذلك وأبقاها حبيسة التشاؤم والعزلة فأصبحت حطام امرأة، ومنطق الاقدار وسطوتها أقوى من أي شيء نحسب له ألف حساب، كي نقلل من فجوة الخسارات.

وانتهت إلى ما يشبه اليقين: "لقد قضيت معظم حياتي أحاول أن أنسى، أما الآن فكلّ ما أريده هو أن أتذكر، أتذكر الوقائع يوماً بيوم، ساعة بساعة، دقيقة بدقيقة علني أنسى". قالتها كمن ينفض عن نفسه ثقلاً نزل عليه فجأة من دون وعي. هنا تذكرت قول نيكوس كازانتزاكيس في روايته الرائعة (الحديقة الصخرية):»إن قلب المراة جرح لا يندمل أبداً إذا لمسته حتى ولو بريشة طاووس يصرخ من الألم».

السفر الذي يُغيّر

في «موت طفيف» للروائي والقاص البحريني أمين صالح، يستوقفني ضمن كثيرٍ من المقاطع التي احتوى عليها الكتاب ما نصه: «الجهات ليست صديقة المسافر»، ربما لأنها في ما يشبه درس الضياع، ذهبت تلك الكتابة، وفي بلادٍ لا دليل لديها عليه. ليست كل الجهات بتلك الصفة التي نحتها أمين صالح ضمن مجال شعري لا حجة لنا عليه. هناك جهاتٌ صديقة له، وليس بالضرورة أن يكون قد ألف المكان في السفر الذي هو فيه، وليس بالضرورة أن يكون بشر تلك الجهات والمكان قادرين على أخذه إلى الألفة التي يحتاج أو يفتقد، فيدخل في مصالحة مع نفسه ومع كل ذلك.

المسافر بطبعه يقلق من المكان الأول الذي يصله. لا يرى جهات فيها أصلاً، كل الجهات متشابهة، وأحيانا كل البشر متشابهون، حين لا يأتيها مشحوناً بذلك القلق.

لكن نفس المسافر يملك القدرة على أن يجعل الأمكنة الجديدة التي تصلها روحه، تتطوع في تقديم جهاتها له، بحيث يحفظ ملامحها ودهاليزها كما يحفظ ملامح أبنائه أو أصدقائه، أو حتى العابرين في البلاد التي جاء منها.

كيف يمكننا من دون السفر أن نكتشف جهات جديدة تعلمنا إعادة النظر في الجهات التي جئنا منها. بمعنى أن نقف عليها طويلا. أن نفهم قدرتها على احتوائنا، وقدرتها أيضا على تنفيرنا منها، بموهبتها الطاردة لكل من تراه غريبا. يحدث ذلك في الأمكنة التي ننتمي إليها .

سوسن دهنيم

الجهات لها حاستها من الغرباء. لها حاستها أيضا أمام أهل الأرض. ولهم عندها مراتب ومقامات. منهم من يستوى على أرائكها، ومنهم من تخصص له مساحة على رصيف، ومنهم من تراه أهلا لأن يفترش العراء وهو محاصرٌ بالوحوش وقطاع الطرق والباحثين عن مواضع النهب.

لا درس أعمق من السفر. لا درس أقدر على أن يربي فينا التمسك بالجهات التي جئنا منها مثلما يفعل السفر. الحنين الذي نصاب به في ذلك الانتقال الذي يشبه تحرك الروح من مركزها، هو الذي يضاعف قيمة التفاصيل في أمكنتنا التي تركناها وراء ظهورنا لأكثر من سبب. ربما بسبب رفاهية منحناها لأنفسنا. ربما هرباً من جحيم لا نعرف اسمه، ولكن يكفي أن نضعه في ذلك التصنيف. ربما بحثا عن ذواتنا القلقة والوجلة التي تحتاج في ظروف ما إلى أن تقسو على نفسها بشكل مضاعف بالنأي والابتعاد، كي نرى بشكل أكثر وضوحا وصدقا.

لا معنى للسفر إن لم نكتشف حجم أخطائنا وخطورتها، وأثرها على من حولنا. لا معنى للمسافر أيضا إن لم يعد بدرس لمكانه الأول. ولا معنى للمسافر الذي يعود كمن لم يغادر. ولا معنى للسفر الذي لا تعود منه بحصيلة خبرتك عن نفسك، قبل خبرتك عن البشر والأمكنة التي عاينتها ووقفت عليها. وبالنتيجة، لا معنى لتلك الجهات.

وفي العودة إلى الجهات. كل الجهات تتشابه خارج الحدود التي تنتمي إليها ما لم تكتشف علاقة البشر بها، والأثر والتحول الذي تحدثه في المكان والمحيط من حولها.

جهات المسافر أن يتذكر، وعجز منه أن ينتظر تذكرها لها، ليس باعتبارها جمادا، وهي ليست كذلك بالمناسبة، بدليل قدرتها على إحداث التغيير داخلنا.

وأجمل الجهات تلك التي لا تغير الجميل عندنا. وقدرتنا على تغيير القبيح عندها. تبدو وصفة صعبة، لكن من قال إن الإنسان ولد سهلا كي يكون على علاقة من السهل؟

«اترك أنفي من فضلك»

في حب الكراهية المقيتة

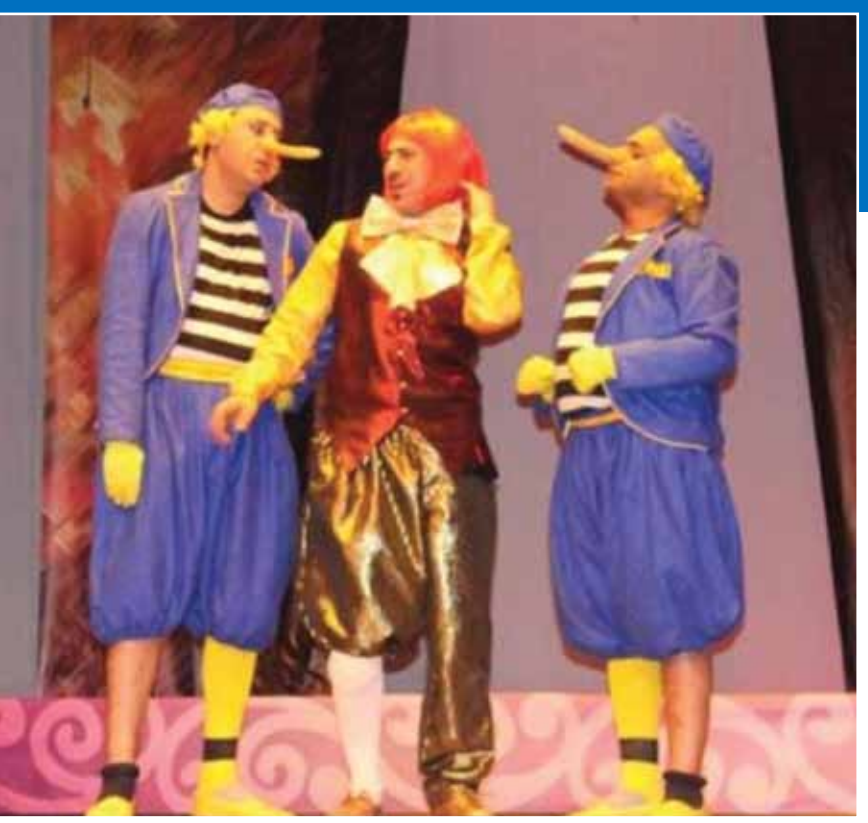

زهراء المنصور

أنفك أعقف، طويل، ضخم، لا يقاس، ولا نهاية له!
أنفك عريض، شاسع، وفسيح، مثل القرنبيط!

يفتح هذا الحوار الكوميدي "الطفولي" أجنحة للضحك حول صديقين تربطهما علاقة وطيدة وعميقة -أو هكذا يبدو- إلى تصاعد الحدث، حين لاحظ أحد الطرفين أن أنف الآخر، الطويل، مبلل في كأس الشراب، ومازح صديقه الذي رأى في المسألة تنمُّراً على قِصر أنفه.. ثم بدأت المعركة!

هل يبدو الأمر مبالغة؟ الواقع أن هذه الفكرة قدّمتها الإسبانية ماروشا بيلالتا في نص "قضية أنوف". وتصدير هذه القضية "التافهة" مقصود به استقراء القضايا الشبيهة في حياتنا العامة، للإشارة إلى أن كل النار من مستصغر الشرر، تقوم لشدة بساطتها في أي مكان بالعالم، وفي أي توقيت، تبدأ بين أفراد/ أيدولوجيات، وتنتهي بكوارث ملموسة، لا يصدق العاقل شرارتها الأولى في الغالب! ومراجعة سريعة لأحداث كبيرة تكشف كيف أن حدثاً أولياً هشاً، مثل نقرة إعجاب -أو تجاهل- على صفحات التواصل الاجتماعي، تثير الحفائظ، حتى تتحول إلى معركة يتداخل فيها أطراف آخرون متضامنون، فكيف بتصادم الأفكار الكبيرة المتضادة الأخرى؟

جُسدت هذه الفكرة في العرض المسرحي "اترك أنفي من فضلك" التي عمل المخرج المصري إسلام أمام على إعادة تشغيلها بنكهة محلية، تناسب الذائقة العامة، المدرج تحتها أي فئات عمرية وأي مستويات ثقافية، عبر شخصيتي بيسو وسيسو -روبيرتو وريكادو في النص الأصلي- الصديقين المرتبطين ببعضهما منذ الصغر، ونتيجة هذه العلاقة الوطيدة يقرران الشراكة في المنزل، بحيث يتزوج أخو الأول من أخت الثاني، ويعيشان بمعية الجدة والأب، حتى يأخذهما خلاف الأنوف المذكور إلى التقسيم والأحزاب والحرمان من النعم "الطبيعية" التي استحقاها نظير توطيد علاقتهما ببعض، حتى مع الاستعانة بشخصية البطلة في "أليس في بلاد العجائب" كراو محرك ومتداخل مع الأحداث، وشخصية منسجمة مع شخصيات العرض، بأزيائها القريبة من الشكل الكاريكاتوري، وأيضاً لموازنة الحدث السريع الذكي في تنفيذ فكرته العميقة التي تخدع ببساطتها. وربما لذلك أشارت مؤلفة النص الأصلي إلى كونه "مهزلة مأساوية"، تأكيداً على أن كل ما يضحك ظاهرياً، سيحزنك في العمق، حين ترى نفسك وخلافاتك الصغيرة وعداواتك التي تنشأ من سوء فهم، أو قلة صبر، أو قصور في قراءة موقف؛ أسباباً للاستسلام في منطقة مريحة: التسليم بالكراهية، دون عناء البحث في المنطقة المجاورة التي تحتاج إلى جهدٍ البحث حتى وقت أخذ القرار.

والكراهية مرهونة بها المسافة التي تخلق بين طرفين، انتهت علاقة الود - أو لم توجد أصلاً - لتبدأ أشواط إطلاق غرائز الشر، والحقد، والعقد المكنونة في حرية لن تتاح لو كانت الحياة سلاماً بين أشباه روبيرتو وريكاردو.

ولا شك في تطوّر حوار الأنوف الطويلة منها والقصيرة، إلى مستوى آخر، حيث العيوب والنواقص التي يطلقها أي طرفين على الأشخاص ذوي العلاقة متاحة و"مقبولة"، على اعتبار أنها فرصة للتفريغ والتحرر من كل أمر كتم من قبل، أو يسمح بقوله في هذه الأحوال! ولنقِس هذا على الحوارات المتشابهة على نمط: أسنان زوجتك معوجة/ أختكِ نحيفة كالشعرية/ حماتك قنبلة/ عمتك برخينيا دوروتيا ليست عذراء! وحتى لو أثار هذا الحوار الضحك لدينا لوقت قصير، سيكون مألوفاً أيضاً وشبيهاً بما قد يكون مر علينا لخصمين تجمع بينهما علاقة واقعية، أو افتراضية، أو حتى ندين في مناصب سياسية على الصفحات الاجتماعية المعروفة التي تكشف لعموم المتابعين مستوى التفكير والأسلوب المتبع في التنفيس عن العداوات.

فالفرد -وقت الكراهية والغضب- لا يكون كما في الأوقات الأخرى التي لا يتعرض فيها لضغط أو معاناة، تظهر القناع الذي يتمسك به حفاظاً على الصورة التي "يحب" أن يصدرها عن نفسه. ورغم عدم تعرض النص والعرض معاً لتاريخ الشخصية النفسي، المليء قطعاً بأثقال غير مرئية تهب خارجة من أول احتكاك، نتيجة خبرة سابقة وذاكرة تحتفظ بالسلبيات رغماً عنها أو بإرادتها، لذا يجب الأخذ في الحسبان أن الجميع يحمل كمية خذلان وألم ومعاناة بنِسب، يتفنن العقلاء في السيطرة عليها، عسى أن يفلحوا في ضبط النفس.

ولن يتوقف الأمر عند الطرفين المختصمين، ومن ذهب للتحزب مع طرف ضد طرف بإرادته، سيتنقل إلى مستوى آخر، كما أوضحه النص في امتداد النزاع لطفلين من المشاهدين بتقنية "المسرح داخل المسرح"، في عدوى تبادل الشتائم: غبي/ أهبل/ بهيم/ حيوان/ دودة/ ضفدعة، وهو يمثل انعكاس حالة الصديقين، وأيضاً إشارة لتساوي مستوى التفكير عند الصغار والكبار معاً، لكي يتمكن الغارق في الكره والعداوة من رؤية نفسه بوضوح! وأيضاً من هذه الحالات، تخرج شخصية محبة للسلام، مثل "ليو" الذي لا يؤمن بالحروب،

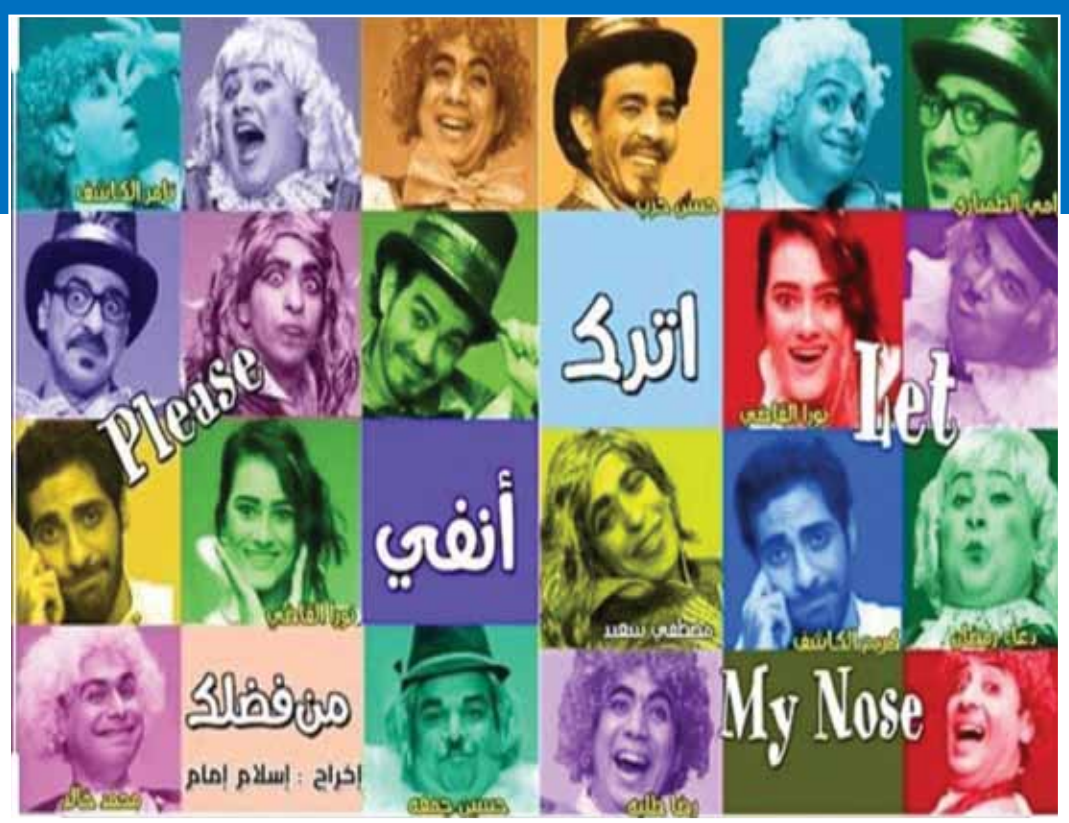

ولا بالانقسامات، ولا بالتمييز العنصري بين البشر، وفي حكمه "الطبيعي" على قضية روبيرتو وريكاردو في أنه ليس هناك فرق بين الأنوف الطويلة والقصيرة.

ما المانع أن يستمتع الجميع بحياته، ويتقبل الآخر كما هو بلا تغيير؟ هل الكراهية تجعل الفرد ذا شخصية أقوى؟ أكبر؟ مهاباً من قبل الآخرين؟ هل هو تنفيس عن إحباط آخر في منطقة مخفية عن العلن؟ أم إن الكراهية ووجود أعداء يصنفون تحت بند "الحسد"، جزء من المباهاة أن ثمة مميزات في الشخصية لم يحظ الآخرون بها، فتصبح مدعاة للكراهية والعداوة؟ ومنطق "ليو" في "قضية أنوف" غير المتحيز لا يلقى سمعاً، ولا يروق لذائقة القطيع المستسلم لفكرة سهولة إشعال العداوة المعتاد مع أول خلاف، لذا فإن أمثال "ليو" لا مكان لهم في الواقع، كما اعتبروه في النص عدواً، وقتلوه لرفضه أن ينساق لأحد التكتلين، هو كذلك في الواقع المعاصر؛ إما أن تكون ضمن، أو تصنف عدواً، وفي أفضل الأحوال ستكون على الهامش، كما رمزية "أوليسس" الأخرس، وهو الشخصية الوحيدة التي تحاول تفادي نشوب حرب بين العائلتين، وأيضاً وجود شخصية الحانوتي/ صانع التوابيت في النص، مهمة، لأنها تعطي ثقلاً درامياً للمستفيدين من سقوط الناس في فوهة الخلاف والموت، مستعملين بذلك نفس الأدوات: "أبيع الأذى.. أذى عنصري.. أذى ديني.. استعدوا للحرب.. معي كل العناصر اللازمة: العقد/ الأحقاد/ الثأر/ العناد. لذا تحوله المؤلفة إلى بائع متجول لزبائنه أينما أرادوا، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء القدوم! وهو يحاول كسب رزقه/ تحقيق مصلحته الشخصية على حساب الآخرين، الذين يغذون فيه السيطرة، وتغذية شهوة بشرية من حيث لا يعون.

ولا بد أن هذه الشخصية تعمر طويلاً عن عمر المأسوف عليه "ليو"! بينما حسابات الدين تتجه إلى منطقة أخرى، تبدو عادلة في الظاهر، ولكنها تحزُّب آخر معني بمعايير مختلفة. فالقسيس يؤكد أن مسألة طول الأنوف أو قصرها هي مسألة نسبية، المهم هو الانتماء للحزب الصالح، أو الطالح، ووحدة القياس هنا متباينة، ولا يمكن أن تكون ثابتة، لذلك نعود إلى المربع الأول في تحديد الخير والشر، الحب والكراهية.

ورغم الكوميديا السوداء التي طغت على عرض "اترك أنفي من فضلك"، واعتماد المخرج على فكرة النص الأصلي، دون الاستعانة بكامل الشخصيات التي ربما ستفرغ الفعل وتؤثر على إيقاع العمل الكلي، إلا أنه نجح في إشاعة جو من البهجة، رغم جدية القضية، دون المساس بأي تفصيل يضيف للعمل. من البديهي أن ينطلق فكر كل من سيشاهد العرض ويذهب إلى العمق الكبير المعني بالدول والأفراد المسئولين عن الأحداث الكبيرة، وهو أمر صحيح، على الأقل حسب وجهة نظر ماروشا بيلالتا في تناول قضية الخلافات شديدة التفاهة وتحولها إلى قضايا كبيرة، بفضل مغذيات الكراهية من أفراد ودول مستفيدة من تعميق الصراع.

لكن، ماذا عن العمق قصير المدى جداً؟ العمق المعني بعلاقات البشر، كما صورة العرض، واستبدال الكراهية بالحب، حتى وإن بدا الأمر ثقيلاً وصعباً في البداية، لكن يقيناً سيصبح العالم مطمئناً وناعماً بالسكون، دون ادعاء مثالية أو تمثيلها. وليس صحيحاً ولا منطقياً ما كتب عن أن هذا العرض يرسخ التنمُّر في عقول الأطفال -باعتبار أنه مسموح لكل الفئات العمرية بمشاهدة العرض، وأيضاً لشكل الدمى الذي يوحي بقابلية أن يكون هذا عرض أطفال أو ناشئة-، ذلك أن العرض لم يخلق مشكلة ويطلقها بلا حلول، وأيضاً ليس بمقدوره قفل العرض بنهاية سعيدة تقليدية تناسب عروض المسرح المدرسي ومسرح الطفل، ذلك أن الحياة الواقعية بعيدة عن تقديم نهاية تكافئ وتعاقب، الخيرين والأشرار، حسب التصنيف المتغير كل مرة في زي مختلف! لذا، فإن ريكاردو وبيسو ومعهما ليو، وكل العناصر التي قدمت على هذا النسق، ليسوا شخصيات مسرحية جسدوا فكرة فنتازية، بل هم أشخاص موجودون بالقرب منا، ونحن أيضاً نشكل هذا النسيج في هيئات مختلفة في الهويات، والشكل، والدين، والمجتمع، يمثلون أفكارهم، ومعطياتهم، وبيئاتهم، وكلهم على حق، ومنطقيون فيما يدعون إليه، إلا فكرة استيعاب الآخر وتقبله ببساطة كما هو بلا تغيير، تماماً كما قال ليو في قضية أنوف: هناك مكان للجميع في هذا العالم، أتفهمون؟

■ كل التنصيصات الموجودة مستلّة من نص "قضية أنوف"، تأليف ماروشا بيلالتا، ترجمة وتقديم: د.زيدان عبدالحليم زيدان، مراجعة د.رضا غالب، من المسرح العالمي، العدد السابع عشر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. يوليو ٢٠١١م

قصة

الربيع

جعفر الديري

تبدو الحديقة في مثل هذا الوقت من العام، رائعة بأزهارها الحمراء وحشائشها الخضراء، وعطرها الأخَّاذ، وليس أجمل من جلسة على الكرسي في مثل هذا الطقس، في صحبة كتاب.

والحق أنَّه اعتاد هذه الجلسة منذ أمد بعيد، إنَّها تملأ نفسه طمأنينة وراحة هو بأمسِّ الحاجة إليها، وهو في هذا السن دون زوج وأبناء.

لقد قام بما عليه كأخ كبير، ومات والده راضٍ عنه، وكنت آخر كلمة سمعها من أمه، وهو يقلُّها إلى المسجد الكبير: وفقك الله ووهبك زوجا صالحا، ترعاك كما رعيتنا جميعا.

وها هم أشقَّاؤه وشقيقاته، فتحوا بيوتا، وأنجبوا أبناءا، وأعينهم تفيض بدمع العرفان، للأخ الذي آثر أن يحرم نفسه لأجلهم.

وقام من على الكرسيِّ، وتمشَّى ببطأ شابكا أصابعه خلف ظهره، مسرورا بمنظر الأرض الخضراء، وبالنخلة الوحيدة المرفوعة الهامة، وبشجرة اللوز الوارفة الظلال.

وسقطت كرة عند قدميه، فانحنى والتقطها وأخفاها خلف ظهره، لعلمه أنها لابن جاره المشاغب محمود.

وسمع صوت الباب يفتح، وصوت الطفل يقبل مسرعا للحديقة، وهو يقول:

– أريد كرتي.

فأحبَّ أن يشاغبه فقال:

– أيَّة كره؟

أجاب الولد في قلق:

– لقد سقطت في حديقتكم.

– ما لونها؟

– أخضر.

قال في ود:

– لدينا كرات كثيرة، تعال اختر منها ما تشاء.

ودخل الولد الحديقة، وبحث فلم يجد كرته، فقال:

– أين كرتي؟

– هناك .. أنظر.

وأشار إلى البطيخ الأخضر..

– تقدم خذ منها ما تشاء.

وجاء الولد، ولمَّا لم يجد كورته أوشك على البكاء:

– هذه ليسة كور إنها بطيخ أخضر.

فضحك، وأخرج الكرة من وراء ظهره وأعطاها اياه، وقال مُتصنِّعا الغضب:

– لن أعطيك إياها إذا رميتها هنا مرة أخـرى.. أسمعت؟!

أمسك الولد بالكرة وفرَّ هاربا.

لحظات وسمع صوت الخادمتين يرتفع بالصُّراخ، فبان عليه الضيق والكدر:

– ألن تكف هاتين المجنونتين عن الصراخ؟

ثمَّ أطلَّت فجأة امرأة ضخمة الجثَّة فبان عليه الانزعاج الشديد، كأنَّما أُلقت حجرا في بركة راكدة هادئة.

ابتسمت مـتـودَّدة، فتساءل حتى متى يتحمَّل مضايقاتها؟!. لقد دخلت البيت دون استئذان، وستحاول الآن اقتحام خلوته المحببة إليه.

إنها امرأة مُطلَّقة ولديها طفلان، لم تزل تحاول الإيقاع به كي يتزوَّجها. لقد بلغت بها الجرأة أن تحدَّثت مع شقيقاته، أفهمتهنَّ أنَّها أفضل زوجة يمكن أن يحظى بها، هي بحاجة لزوج يرعاها، وهو بحاجة لامرأة تسعده، وكأنه صبي صغير بحاجة لها ولغيرها، أو انه غرٌّ جاهل لا يعلم من أمرها شيئا، ولا يعلم أن سوء أخلاقها دفع بزوجها لتطليقها رغم الطفلين.

وتقدَّمت خطوة، فأشار إليها بحزم:

– أرجوكِ.. أنا لوحدي في البيت، وليس أمرا طيبا أن تدخلي.

ويبدو أن لهجته كانت شديدة الامتعاض، ما دفعها للانصراف بحنق شديد.

حمد الله، ثم عاد إلى مجلسه وأمسك بكتابه، حين سمع صوت جلبة محبَّبة عند الباب...

– شيء لطيف حقًّا.

قال ذلك في انشراح وسعادة. إنهم أشقَّائه وشقيقاته، جـاؤوا يقضون المساء معه، وعن قريب سيملأ أبناؤهم البيت ضجيجا ومرحا.

قصة

العرزال

ليلى سلامة

تمشّى عمران مرتابًا جيئةً وذهابًا ضمن مقاسات أنفاسه المتاحة، هي مترين ونصف مضروبة بثلاثة أمتار من الربو المستشرس. كذلك نهضتُ وعابد لاقتفاء خطوات صديقنا القاصرة غير آبهين للمساحات المتبقية وعلو الفوهة الشاهق وخشخشة صدورنا. يناصفنا المكان جدار قاتم محقون برطوبة مكثّفة ممزوجة برائحة الملفوف المسلوق، وجرّة ماء مشروخة، واكتفاء ذاتي بالفراغ، واهتزاز يتردد صداه في عروق الجسد يوحي بأنَّ الصمت لا لباقة فيه. وقبل أن نصرع النوم كعادتنا وقبل أن يقضي الموت حتفه على أطراف أجفاننا وقفنا نزخرف الجدار بنظرات مثبّتة ..نظرات لم يتشفّ منها النوم، بعثنا للسقف العالي الذي يقطرُ صمتًا ضحكات تكتنز داخل أحشائنا، ضحك بلا سبب، ذلك الضحك الهستيري الذي يقال عنه قلّة أدب، ضحك تفشّى مع رهبة الكبت وجعل قافلةً من الأفكار تدور في رؤوسنا، إنه الضحك الذي يترك آثار العدوى. امتدتْ ذراع عابد إلى سلك غليظ متدل من أعلى السقف وصار يتأرجح بين الفراغات مع سرعة الصوت ثمَّ أخذ يشدّهُ بقوة نحو الأرض حتى كادت صفرته المُلحة أن تَحتَّ عروق يديه، كان دمه يتأرجح أيضًا، وعقله، وذكرياته، والحنين المتسلّط.... فتشابكت أيدينا إلى أن أسقطناه ومعه أوتاد سنديانة معلّقة في سماء السقف. أعلن عمران عن ضحكات سافرة تخشخش بقوة القيد في صدره:هل سنهرب ؟. كان الصمت يتجوّل على شفاهنا..

تشابكت الأيدي من جديد، وكان ضغط الأكف قاسيًا ينفجر منه بركانًا. ثلاثتنا مفرغين من الألم تستطيلُ أعناقنا للأعلى وترتطمُ بسقف هو مضجع أسراب الذباب المطل على الجميزة الذي ما انفك يتحول إلى نفق مظلم. التصقت آذاننا بحائط كالسدّ يحمل نافذة مقلّمة بأسياخ غليظة على هيئة فوهة مرحاض؛ فأعيننا ترتبتُ على كتف فضاء رحب مليء بالذرّات.

امتلأ صدر عابد بالغبطة مخاطبًا نظراتنا المتشابكة كأيدينا- سنبني عرزالًا أسفل الجميزة التي تعمرها أسراب عصافير ليلكية وسنسحق أسراب الذباب بقبضةِ رجلٍ واحد. تبسّم عمران وشمّر عن ساعديه ، وأنا تلقّفت الأرق بقبضة من شوك. ولمّا اكتمل العرزال الذي دقّته أذرعنا -وسط الجدار المتأهب لاختلاق فضيحة- صفّقتُ لهيبة العرش الوثير وتخيلّت كم سيؤنسني لو مرّت من تحته دجاجة مكتنزة بالبيض وترقد في حدود دفئه لتفقس بيوضها، ثم تناديني أمّي:- هلمَّ بسرعة يا عوّاد في إحضار البيض! وأفكر أيضًا كم سيكون مذاقه لذيذًا بالسمن البلدي.

قهقه عمران من حلمي الرجعي جدًا بنيةٍ صافية، قائلًا: «بدل أن تفكر براحة الدجاجة وكرشك المزعوم فكّرْ أولًا أن تستعيدَ عقلك. بنينا هذا العرزال بشق الأنفس لنستلقي عليه، لا لندلل حيواناتك الداجنة.» تنهدّت تنهيدة ممتدة وصلت إلى ساحل قريتي، عبأت رئتيَّ بنفحات النسيم التي أتت من هناك، فحشّت الربو من جذوره. أفرغ عمران عشقا من صدره وهمس في قلوبنا المترقبة:»حبيبتي كانت تسميه الروشن مؤسس لذة ثورتنا كعاشقين وموطن أول قبلة لنا».

أخذنا نتأمل الوطن مبتسمًا وتخيّلنا مشهد القبلة بارتياح، ولكن وسط الحديث ترجّل عابد عن صمته ورأى أن نخلع ملابسنا الرثّة لنخيط منها شرشفًا رحبًا بوساعة الزفرات الساخنة متقلبة المزاج التي رفسها ثلاثتنا من بين أضلعنا المتكبدة عناء البقاء. عابد ككلينا يشدُّ الحنين من عُنقه ويبعثه على لزوم الصمت، ولكن كان يتسلّق نبضه، أخرج منه غزلًا حرًا خصّ به أمه التي كانت تغزل الحب والحياة في أساور الفل كلما ارتقت على عرزال منزلهم ودمعة أبيه تتدلى من عينيه وتسقي زرعه. أفلت عمران الستارة عن عرشنا الذي كدّتْ أناملنا في صناعته، فقلتُ: رغم أنّه ليس وثيرًا كعرزال البيت لا لباد صوف فيه ولا أغصان كثيفة، إلا أنه يكفي للانسحاب من صراعنا مع النوم. كان العرزال متأهبًا لطرحنا أرضًا.

تمددنا على طول الطريق صعودًا نحو ارتفاع مترين، يرتدي ثلاثتنا شراويل محكمة بحبل ثقيل وقمصانًا محلولة الأزرار ذات ياقات متهرهرة. جلجلت الخَلاخيلُ التي التفّت حول كواحلنا فيما نجرُّ أقدامنا الثقيلة، وتسلقنا سفحه كأنه خشبة مسرح. اصطفقنا، بدا سطح المكان كالربى التي هبّت منها نسائم برائحة الجبل، فانتعشت حواسنا التي شلّتْها الجدران المتخمرة. كانت هناك مسحة من نور، جلبتها أسراب الذباب وفرقتها في المكان، مضت تدغدغ أعيننا بينما كان الذباب يترقب موعد الغداء! يترقب لحظة سقوطنا عن العرزال. دثّرتْ أكياس الخيش رؤوسنا، أحكم إغلاقها، ضلّت مسحة الضوء طريقها تمامًا، اندثرت النسائم في نسيج الخيش المعتّق، وانقبضت الأنفاس. كنت أخفُهم وزنًا وقلبًا فسقطت كريشة في فم الأرض فحلّق صوت أمي وهي تغنّي لي أغنية يا راد ...يا عوّاد.

تلفّت عابد مشدوهًا قلقًا يبحث عن ساعديه وقال: ظننتُ أننا بنينا عرزالًا على سنديانة. تأرجحت رجلاه كزعنفتين ثم ابتلعته الأرض دون أن تمضغ أنفاسه. اشتدّت قامة عمران وكانت كلمته الأخيرة: إنّه كذلك يا صديقي.... لقد كان مضجعًا لنا عليه صولات وجولات... وسيكون لدجاجات عوّاد حق الاحتفاظ به.... تفرّقت أسراب الذباب وتكسّرت أغصان السنديان ملوّحة بأذرعها التي صعدت منها بذرة نابتة. وقبل أن تسقط الغفوة من عينيْ عمران، وقبل أن يبتلعه الموت، وقبل أن تصفّق عيناه للرحيل... وقبل أن تقضي أسراب الذباب حتفها، تأججت ضحكات متفشية بعروق أجسادنا نسجتها ديَكة تتعافر في الأسفل، ثمّ استأنف السقوط دورته متأرجحًا وصيّر العرزال مدرجات نوّاحة من أمواج تغزل من شرشفٍ رثٍ شراويل جديدة.

الظل في الطابق الخامس

ظل الكرسي على أرضيّة الغرفة، ظل الممثلة في شاشة التلفزيون على الجدار، ظل كوب القهوة على الطاولة، الظلال تمتزج مع أبواق السيارات ورائحة البشر وفكرة الزمن و تدخل من نافذة غرفتي في الشقة رقم ١ من الطابق الخامس، كظل واحد له هيئة الظل وروح الحقيقية.

وضحى المسجن

ولو حرّكتُ الكُرسي من مكانه لانتقل ظله للمكان الذي أخذته إليه، ولو غيّرتُ القناة التلفزيونيّة التي تعرض المسلسل لقناة أخرى تعرض برنامجاً عن عالم الحيوان لاختفت الممثلة وظلّها وحلّت محلها مجموعة من الحيوانات، حتى أن ظل كوب القهوة يمكن أن يكون ظلاً لمجموعة كتب لو إني وضعت مجموعة من الكتب على الطاولة بدلاً من كوب القهوة.

قد يبدو الأمر عبثيّاً، مُراقبة الظل وهو يغيّر هيئته من كرسي وأمرأة وكوب قهوة لكرسي وحيوانات ومجموعة من الكتب، قد يبدو الأمر عبثيّا مراقبة الظل وهو يغيّر مكانه من أرضيّة الغرفة للطاولة للجدار؛ فالظل في نهاية الأمر مجرد حدث يحكمه قانون السببيّة، مما يجعل وجوده وجوداً آنياً مرتبطاً بكميّة الضوء وتوفر أسطح معتمة قادرة على صناعته. غير أن الظل يدهشني، وكل ما يمكن أن نمرّ عليه ونتجاهله يدهشني، كل شيء كوّنا عنه مفهوماً وفق التجربة والمعايشة ثم كدسناه وكومة من الأشياء في مخزن الذاكرة كنوع من المفروغ منه يدهشني. اللحظة الأولى التي التفتُ فيها للظل وأشكاله أكثر أهميّة عندي من اللحظة التي حاولتُ فيها اكساب الظل أشكالاً أخرى غير الأشكال التي ظهر فيها، اللحظة التي كان فيها الظل يتصرّف على هواه – مختبئاً وراء الكرسي والممثلة وكوب القهوة – لحظة إستثنائيّة، تلك اللحظة التي كان فيها الظل حدثاً جدير بالتأمل، حين دخلتُ في حالة من الصمت العميق، أوقفتُ مفاهيمي وفتحت حدقتيّ الحلم على اتساعهما، ودخلتُ في هبوط وصعود مع الظل والهيئات التي اتخذها والأمكنة التي استراح فيها.

هذه النكهة بالغة الأهميّة بالنسبة لي، نكهة نسيان السبب فيما حدث، نكهة النظر للشيء منفصلاً عن أسبابه، هذه النكهة التي توجد مع اللحظة الأولى التي نلتفت فيها للأشياء، اللحظة التي يكون فيها الحدث شعوراً أكثر من كونه حدثاً، اللحظة التي يتغلب فيها الحدث النفساني على الشكل المنطقي.إنها نكهة الحُبّ لامحاولته، نكهة التأمل لامحاولته، نكهة ما يأتينا لاما نستدعيه.

غداً في مثل هذا الوقت وفي الشقة رقم 1 في الطابق الخامس سيكون الظل هو الظل لكنه لن يأخذ شكل كرسي وممثلة وكوب قهوة، وقد يأخذ هذه الأشكال إلا إنه لن يكون ذاته ظل اليوم، لأنه ومنذ لحظات كتابتي عنه ولعبي معه عبر تطويعه ليتخذ أشكالاً جديدة صار كياناً آخر، خرج من حالته الغفل لحالة أخرى أقل إدهاشاً، حالة دخلتها أفكاري العبثية التي تحاول تفكيك ظل يعبر غرفة.

قد يكون الظل غداً في شقة أخرى من شقق الطابق الخامس وقد يعثر عليه طفل فيلعب معه لعبتي ويمنحه أشكالاً جديدة لم أحاول أن أمنحها إياه، قد يمرّ بجانب رجل يدخن سيجارته فيمتزج الظل بدخانه ويتبدد، وقد يمر بجانب سيدة فتتجاهله كما لو كان حدثاً عابراً، وقد يمرّ بحدقتي مراهقة حالمة فتحاول ملاحقته أو إعطائه معنى جديداً لم يعد يعرفه الكبار الذين توقفت أدمغتهم عند القوانين والأسباب.

أيها الظل أحييك لقد فاجئتني.لم تخبرني حتى أن الصمت تجربة، حين يتلاقى سكون الظاهر وضجيج الباطن. أحييك أيها الظل إلى حين، فمن يدري ربما حين تزورني غداً أكون سيدة أخرى فأحاول إزلتك بمحلول إزالة البقع أو تبديدك بالإنشغال عنك بالمكالمات الهاتفيّة.

واحة الفكر

لينين في مواجهة هيغل «مقتطفات»

لوي آلتوسير

ترجمة وإعداد: هشام عقيل

اليوم، في إبريل ١٩٦٩، بينما نعيش في ظل انشقاق فعلي في الحركة الشيوعية العالمية، وبينما يعقد الحزب الشيوعي الصيني مؤتمره التاسع، وتجرى الاستعدادات للمؤتمر العالمي للأحزاب الشيوعية في موسكو، لا يمكننا أن نعتبر التفكير حول لينين وهو يقرأ (منطق) هيغل في ١٩١٤ و١٩١٥ كشيء لا صلة له بالوضع الحالي. إنها ليست المدرسية بل الفلسفة، وبما أن الفلسفة هي السياسة في النظرية، فإنها بالتالي سياسة. وضعنا الحالي متقدم بكثير على الوضع الذي كان فيه لينين، حيث أننا لا نعيش حرباً عالمية، ويمكننا أن نرى بوضوح مستقبل الحركة الشيوعية العالمية، رغم انقسامها الحالي، ولعلّ هذا الوضوح هو بسبب هذا الانقسام، رغم معلوماتنا الضئيلة حوله؛ حيث يمكن للمرء التفكير دائماً.

يمكن فهم تناقض سلوك لينين إزاء هيغل عبر المقارنة ما بين حقيقتين:

الحقيقة الأولى

كرّس لينين في العام 1894، في كراس (من هم "أصدقاء الشعب")، إثني عشر صفحة لكتابة الفرق ما بين ديالكتيك ماركس المادي وديالكتيك هيغل! رغم أنه – لينين– بشكل واضح لم يقرأ هيغل آنذاك، بل قرأ فقط ما كتبه ماركس حول هيغل في خاتمة الطبعة الألمانية الثانية لكتاب (رأس المال)، وما قاله انغلز حول هيغل في كتابي (ضد–دورنغ) و(فويرباخ ونهاية الفلسفة الألمانية الكلاسيكية).

تلك الإثنا عشر صفحة هي عبارة عن إعلان صارم ضد–الهيغلية. الاستنتاج النهائي لهذه الصفحات (استنتاج كتب كملحوظة) هو، وسأقتبس لينين نفسه: "إنه من السخف ربط الماركسية بالديالكتيك الهيغلي" (Lenin، Collected Works، Vol.1، p.174n.). يقتبس لينين إعلان ماركس القائل إن منهجه هو: (العكس المباشر" لمنهج هيغل (p.167). أما بالنسبة إلى صيغ ماركس الهيغلية، التي تظهر في كتاب (رأس المال)، وبالأخص في الجزء الأول من المجلد الأول، التي قال عنها ماركس إنها نتاج لما قام به من: "تغزل (kokettieren) بأنماط التعبير الخاصة بهيغل"، فإن لينين يصفي الحساب معها عبر مبرر أنها: "اسلوب ماركس في التعبير"، وترتبط بـ: "أصل المذهب نفسه"، مضيفاً بداهة يقول فيها: "جب علينا أن لا نلوم النظرية على حساب أصولها" (p.164).

يواصل لينين قائلاً إن الصياغات الهيغلية للديالكتيك، الـ "النموذج الديالكتيكي الفارغ" للثلاثية، هي «غطاء» ما أو «جلد» ما، ولا يمكن أن يزيل المرء هذا الغطاء أو الجلد من دون تغيير أي شيء في الوعاء المكشوف أو الثمرة مقشرة، ولكن بالفعل أنها يجب أن تكشف أو تقشر من أجل كشف ما تخبئه في الداخل.

لأُذكر القارئ أن في العام 1894 لم يقرأ لينين هيغل، ولكنه قرأ كتاب (رأس المال) لماركس بعناية، وفهمه أكثر من غيره – كان في الرابعة والعشرين من عمره فقط – لدرجة أن أفضل تقديم لكتاب (رأس مال) ماركس نجده عند لينين. مما يبدو أنه يثبت حقيقة أن أفضل طريقة لفهم هيغل والعلاقة التي تجمع هيغل وماركس هي فوق كل شيء آخر قراءة وفهم كتاب (رأس المال).

٢. الحقيقة الثانية

كتب لينين في 1915، في ملاحظاته حول كتاب (المنطق الكبير)، ملحوظة يعرفها الكل عن ظهر القلب: «من المستحيل فهم كتاب ماركس (رأس المال) كلياً، وبالأخص فصله الأول، من دون قراءة ودراسة منطق هيغل بأكمله بعناية وإحكام. هكذا، بعد نصف قرن، لم يفهم الماركسيون ماركس!!» (Collected Works، Vol.38، p.180).

لأي قارئ سطحي، يناقض هذا التصريح بوضوح تصريحات 1894، بما أنها كانت إعلانات ضد–الهيغلية بشكل راديكالي، هنا يبدو أننا أمام إعلان مناصر للهيغلية بشكل راديكالي. بلا شك، إن ذهبنا بهذا الإعلان إلى مدى بعيد جداً وطبقنا مقولة لينين على لينين نفسه سيظهر مؤلف النصوص المذهلة حول كتاب (رأس المال) ما بين 1893 و 1905 كشخص لم "يفهم ماركس"، بما أنه لم يقم، قبل 1914 و1915، بـ "دراسة وفهم منطق هيغل بأكمله"!

سأترك المفسرين التقليديين يحررون أنفسهم من هذا "التناقض" الصغير، رغم أنني أشك بأنهم سيقومون بالكثير حوله؛ مهما أعلنوا، مثل مفسري نصوص لينين الأخرى، أن هذا "التناقض» هو المحرك الكوني لكل تقدم، من ضمنه التقدم المعرفي.

أما بالنسبة لي، فأنني سأقبل كلمة بكلمة لهذا الإعلان الثاني للينين كما قمت بذلك للإعلان الأول. كان لينين محقاً عندما قال "لفهم كتاب رأس المال"، وبالأخص (ولاحظ ذلك لأنه عبقري) فصله الأول، أيّ الجزء الأول من المجلد الأول الشاذ، وأنه شاذ لأنه لا يزال هيغلياً، ليس في توظيفه الاصطلاحي وحسب، بل أيضاً في شكل استعراضه، من المهم جداً معرفة (منطق) هيغل بعمق ولسبب جيد جداً.

يمكنني اختزال تناقض الحقيقة الثانية هذه، لهذا الإعلان الثاني للينين، عبر الإشارة مباشرة أنه يأتي (في الصفحة السابقة لدفاتر لينين الفلسفية) بعد صيغة مثيرة للاهتمام جداً. يعلن لينين أن في الواقع: «تحليل هيغل للقياس المنطقي ... يذكرنا بتقليد ماركس لهيغل في الفصل الأول». هنا نجد إعادة صياغة لتشخيص ماركس: "تغزّله" بهيغل. إذا كانت القبعة تناسب رأسك فإلبسها؛ أنا لم أقل ذلك، بل إنه لينين من قال ذلك متبعاً ماركس. في الواقع، لا يمكن المرء فهم الجزء الأول للمجلد الأول من دون أن يرفع، بشكل كامل، "غطاءه» الهيغلي؛ من دون أن يقرأ هذا الجزء بشكل مادي، مثلما قرأ لينين هيغل؛ من دون، إذا يسمح لي هذا الافتراض، إعادة كتابته.

هذا يؤدي بنا مباشرة إلى أطروحتي المركزية حول قراءة لينين لهيغل: يحمل لينين في ملاحظاته حول هيغل مثل الموقع بالضبط الذي تبناه مسبقاً في كراس (من هم "أصدقاء الشعب") و(المادية والنقد التجريبي)، أيّ في اللحظة التي لم يكن لينين قد قرأ هيغل بعد، مما يؤدي بنا إلى "استنتاج» صادم ولكنه حقيقي: في الأساس، لم يحتاج لينين قراءة هيغل ليفهمه، لأنه قد فهم هيغل بالفعل حيث قرأ ماركس بعناية. بالتالي، سأقوم بوضع مقولة خاصة بي: بعد قرن ونصف لم يفهم أحد هيغل لأن من المستحيل فهم هيغل من دون دراسة كتاب (لرأس المال) بعناية وإحكام! استفزاز بمقابل استفزاز آخر؛ أتمنى يغفر لي هذا، على الأقل في المعسكر الماركسي.

أما بالنسبة للهيغليين، فيمكنهم الإستمرار بتفكرهم بهيغل، مفكر كل المفكرين هذا، أو مفسر كل التفسيرات في تاريخ الفلسفة. في كل الأحوال أنهم يعلمون، بوصفهم هيغليين جيدين، أن التاريخ قد انتهى، وبالتالي بإمكانهم أن يلتفوا ويدوروا حول نظرية نهاية التاريخ، أيّ عند هيغل.

في النهاية، إنها ليست مجرد دوارات التي تلتف مراراً وتكراراً، إذ يمكن لعجلة التاريخ أن تدور مراراً وتكراراً أيضاً: عجلة التاريخ الفلسفي على الأقل، التي دائماً تدور مراراً وتكراراً. وعندما تكون هذه العجلة هيغلية، فتكون أفضليتها مثل الأفضلية التي أعطاها باسكال للإنسان بالنسبة إلى القصبة، هذه الأفضلية هي: أن الإنسان "مدرك" بها.

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

التقدمي

التقدمي العدد 156 ـ نوفمبر 2020 السنة الثامنة عشر SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

أُنْثَى تُشْبِهُكَ

فاطمة محسن

سَأَسْتَلِفُ غَمَّازَتَيْكَ
وَأَسيرُ بِلا قَدَمَيْنِ لِقَلْبِكَ
قَدْ يُرْهِقُني المَسيرُ
لَكِنِّي سَأَسْأَلُ اللَّيْلَ عَنْ طَرِيقٍ مُخْتَصَرٍ
عَنْ قَمَرٍ يَخْتَصِرُ الضَّوْءَ بِوَجْهِكَ
وَيُعْلِنُ لِلَّيْلِ نَهارِي
*****

سَأَسْتَلِفُ حَدِيثاً لَذِيذاً
مِنْ شَفَتَيْكَ
وَأَقْبَلُ بِالصَّمْتِ عِقاباً لِتَهَوُّرِي
*****

سَأَسْتَلِفُ حاسَّتَكَ
وَأَذُوقُ مَعاني النَّهْدِ
مِنْ شَفَتِي
*****

لِتَسْتَرِحْ الأَسْئِلَةُ قَلِيلاً
افْتَحْ دُرْجَ دَهْشَتِكَ
هُناكَ أُنْثَى تُشْبِهُكَ
تَغْسِلُ أَوانِيَ حُزْنِها
وَتُضَفِّرُ رُوحَها
كَيْ تُرَمِّمَ المَسافَةَ
*****

بَكارَةُ البَحْرِ مَسْجُونَةٌ هُناكَ
البَساتِينُ نَهْدٌ غامِضٌ
الرَّوائِحُ قَمِيصٌ قَلِقٌ مِنْ غِيابِ الهَواء
*****

الغِوايَةُ
قَلْبٌ يَنامُ عَلَى الصَّمْتِ
*****

أُحِبُّكَ
سَأُخَبِّئُها تَحْتَ طِينِ رُوحِي
وَأَتْرُكُ النَّبِيذَ
لِيُصَلِّي مَعَكَ صَلاةَ التَّوْبَةِ
*****

لَوْ قَبَّلْتَنِي أَكْثَرَ لَنَبَتَ ياسَمِينٌ عَلَى شَفَتَيَّ
*****

قُبَّعاتُ حَنانِكَ
وَ
أَصابِعُكَ
.
قَبِّلْنِي وَسَأَنْجُو مِنَ المَوْتِ
*****

أَنا عاشِقَةٌ جِداً
إلا أَنَّهُ لا حَبِيبَ لي
*****

الدُّمُوعُ شَهْقَةٌ حائِرَةٌ في نَفْسِ اللَّيْلِ
*****

تَعالَ
جَرِّبْ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْ قَلْبِي
أَوْ
ضَعْ رِسالَةً تَحْتَ البابِ
أَنْتَظِرُكَ مُنْذُ غَيْمَةٍ

*****

البارِحَةَ رَأَيْتُكَ تُراقِصُنِي
خَبَّأْتُ مَشاعِرِي في صُنْدُوقٍ قَدِيم
وَقَفْتُ عِنْدَ دَهْشَتِكَ وَأَنْتَ تُمْسِكُ يَدِي
وَتَبْحَثُ عَنْ عَيْنَيْها
أَيْنَ تَعَلَّمْتِ الرَّقْصَ؟
كانَ قَلْبِي سَيُجِيبُكَ لَوْلا أَنَّهُ في الصُّنْدُوقِ
القَدِيم
*****

قَلِيلاً قَلِيلاً تَنْمُو أَصابِعُكَ داخِلِي
فَيَسْتَوِي جِسْرُ اللَّذَّة
وَيَهْرُبُ الصَّمْتُ مِنْ خارِطَةِ الجُنُونِ
*****

الحُلْمُ بَحْرٌ دُونَ مِلْحٍ
قَوارِبِي إِلَيْكَ
تَخْتَبِئُ في الصَّمْتِ
أَجُرُّ عَرَبَةَ الكُحْلِ
وَأَتْرُكُ عَيْنِي تَنامُ في القَلَقِ
*****

النَّوْمُ قافِلَةٌ مُحَمَّلَةٌ بِالأَغاني
وَشْمُ وَعْدِكَ عَلَى صَدْرِي
رُفُوفُ الكُتُبِ المَنْسِيَّةِ في ذاكِرَةِ القُبَلِ
النَّوْمُ
غَزالَةٌ تَرْتَوِي مِنْ سُحُبِ بَياضِكَ
*****

المَسافَةُ بَيْنَ حُلْمِي وَانْتِظارِكَ
تُشْبِهُ قِطَّةً تَمُوءُ في زَوايا الفَرَحِ
المَسافَةُ شَهِيدَةُ التَّوْقِ

لا تَأْتِي حافِيَةً
المَسافَةُ مُحَمَّلَةٌ بِمُزْنِ بَوْحِكَ
وَهَمْسِ أَطْرافِكَ عَلَى نَهْدِي
*****

في ذاكِرَةِ قَلْبِي نَخْلَةٌ
كُلَّما تَمَلَّكَنِيَ الخَوْفُ هَزَزْتُ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ
فَيَسَّاقَطُ رُطَبُ رُوحِكَ لِيُنْقِذَ غُرْبَتِي مِنْ
مَخاضِ الجَفافِ
فَأُصْبِحُ جَسَدَ الوَرْدَةِ
وَيَتَسَرَّبُ عِطْرُكَ لِي فَأَكْتَمِلُ
*****

في أَصابِعِي دالِيَةٌ
خَلْفَها قَصَصُ العَصافِيرِ
أَجُوعُ إِلَيْكَ فَأَتُمُّ نُذُوري لِشَجَرَةِ النَّبْقِ
وَأُطْعِمُها جَيِّداً كَيْ تَحْجِزَ لِي مَقْعَداً في
العِناقِ
*****

يَتَسَرَّبُ جَسَدِي
أَتَلَفَّتُ، أَراكَ
فَأَعْرِفُ جِهَتَهُ
أَرْسُمُ قُبَّعَةً وَخَلْخالاً
ظِلَّانِ يَرْقُصانِ
يَدْخُلانِ الكَوْنَ
فَتَهْرُبُ الفَوْضَى مِنْ نافِذَةِ البَرْدِ
هَكَذا أَشْرَبُ نَخْبَ رُجُولَتِكَ
وَأَحُجُّ إِلَيْكَ